خلق الإنسان في الكتاب والسنة

دراسة مقارنة

الدكتور / نبيل بن محمد آل إسماعيل

قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمـــة:

الحمد لله، الذي خلق الإنسان، علمـه البيان، والصلاة والسلام على نبيـنا وسيدنا مـحمـد، سيـد الإنس والجان، صلى اللَّه عليـه وعلى آله وصحبه الأطهار، وسلم تسليماً. أما بعد:

فهذا بحث بعنوان: خلق الإنسان في الكتاب والسنة- دراسة مقارنة.

وقد اخترت هذا البحث للأسباب الآتية:

١- إن الكتابات الـتي رأيتها في هذا المـوضوع لم تخـدم الغرض الذي أردته من هذا البحث، غير أنها بمجـموعها تكون الفكرة التي أردتها من هذا البحث.

٢- إنني بوصـفي إنسـاناً متـعطش لمـعـرفة الحـقـائق الكامنة في هذا الإنسان.

٣- تيـسر بعض المـراجع التي أحتـاجهـا في هذا البـحث في المكتبـة الموجودة لديّ وفي مكتبات جامعاتنا.

٤- ذكر القرآن والسنة للإنسان في صور شتى يصعب وجودها في كتاب واحد يعطي فكرة متكاملة عن الإنسان، وتصور الإسلام للإنسان من خلال الكتاب والسنة.

وقد أعددت لهذا البحث خطة مكونة من مبحثين كما يلي:

المبحـث الأول: النظرة إلى الإنسان بين الإسـلام والمذاهب الأخرى من حيث تكوينه ، وفيه مطلبان:

أ - النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه الجسدي .

ب - النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه الروحي .

المبحث الثاني: النظرة إلى الإنسان من حيث تكريمه ومسؤولياته، وفيه مطلبان:

١- النظرة إلى الإنسان من حيث تكريمه.

أ - النظرة إلى الإنسان من حيث تكريمه بالعقل.

ب - النظرة إلى الإنسان من حيث تكريمه بالدين.

٢- النظرة إلى الإنسان من حيث مسؤوليته .

ثم أختم البحث بخاتمة فيها ملخص للبحث وأهم نتائجه وأذكر بعدها المراجع.

وقد حاولت جاهداً أن أبذل قصارى جهدي في أن آتي بالجديد والمفيد، ولولا اللَّه ثم الظروف الصعبة التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث والتي لازمتني مدة طويلة لكانت صورة هذا البحث على غير ما هي عليه الآن حجماً وفائدة، غير أنه يحتوى وبصفته هذه على فوائد جمة يدركها من يطالعه، والظروف التي أشرت إليها لا يسعني ذكرها إذ أحتفظ بها لنفسي.

واللَّه أسأل أن يجعل عملي في رضاه، وأن ينفع بهذا العمل من اطلع عليه، وأن يهب لنا من أمرنا رشداً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وآله وسلم

المبحث الأول : النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه.

توطئة:

الإنسان من حيث تكوينه مكون من جسم وروح، فهو يتكون من جانبين مادي وروحي. والإسلام الحنيف ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة في هذين الجانبين، فلا يغلب الجانب الحي الجسدي على الجانب المعنوي الروحي، ولا تطغى فيه الروحية على المادية، بل هو ينظر إليهما نظرةً متحدةً في توافق تام دون طغيان جانب منهما على صاحبه، فيعطي كل ذي حق حقه في ميزان دقيق، بينما النظريات والمذاهب الأخرى نجدها في نظرتها للإنسان تغلب أحد الجانبين السابقين على الآخر، فمنهم من اهتم بالجسم أو الجانب المادي فجعله أساس الإنسان، وأهمل الجانب الروحي، ومن ثم انصبت اهتماماتهم في هذا الجانب دون الجانب الثاني، مما جعل الفراغ الروحي والوجداني كبيراً جداً، فنتج من جراء ذلك مشكلات لا حصر لها ولا علاج. وآخرون غلبوا الجانب الروحي وعزلوه عن الجسد، وقالوا: إن الهدف هو إشباع هذا الجانب في الإنسان دون الجسد، فضربوا العزلة على الجسد والرهبانية والرياضات الروحية التي تقتل الجسد وتضعفه، مما سبب ترك الناس لهذه المذاهب بعد الانفتاح العلمي المادي منضمين إلى أصحاب المذهب الأول المادي، ولا يخفى الضرر المرتب على الأخذ بأي من المذهبين، وسأحاول من خلال هذا البحث إيضاح ضرر المذهبين في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه الجسدي.

لقد أخبرنا اللَّه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عن خلق الإنسان بالتفصيل، وذكر اللَّه لنا أيضاً مادة خلق هذا الإنسان ـ آدم ـ وأنه من تراب أو من طين أو من ماء. . إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله، وذلك حين التحدث عن نظرة الإسلام إلى الإنسان من حيث الخلق والتكوين .

وهذا كله نجده في الكتاب والسنة، بيد أننا لا نجد فيهما بدء هذا الخلق وكيفيته، إذ ذلك مما اختص اللَّه تعالى بعلمه، فلم يطلعنا عليه لعلمه أن ذلك ليس ذا فائدة لنا، بل هو سبحانه أخبرنا وأرشدنا إلى ما علم فيه النفع لنا ديناً ودنيا وآخرة .

هذا ، وإن الغربيين ومقلديهم يزعمون أن خلق الإنسان لم يكن في أوله على هذه الهيئة، بل إنه كان ضمن دورة حيوانية ارتقائية حتى تكامل في شكل وصورة الإنسان الحالية، وليس هو في أول خلقته على الهيئة المتكاملة الآن، بل كان ينقصه كثير من أعضائه ومعالمه الجسمية المعروفة الآن، وهذه النظرية هي المعروفة بنظرية: «النشوء والارتقاء» أو نظرية «دارون»، وسوف أتناول هذه النظرية في هذا المطلب أولاً ثم أنقدها، وبعد ذلك أتناول ما جاء في الإسلام عن حقيقة خلق الإنسان، وبيان أن اللَّه خلق الإنسان على هيئته الحالية دون نقص ولا زيادة في أحسن تقويم، لا كما يزعم أصحاب مذهب الارتقاء .

نظرية التطوير « النشوء والارتقاء » :

منذ بدء البشرية لم يسمع العالم بأحد يقول بأن الإنسان ناشئ في خلقته عن أصول حيوانية، فقد عرف في سالف العصر أن كثيراً من الناس أنكر الإله الخالق كالدهريين وفرعون والنمرود مع اعترافهم في حقيقة أنفسهم بوجود إله خالق كما حكى اللّه عنهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: ١٤] غير أنهم لم يقولوا هم أنفسهم بأن أصل البشر ليس واحداً وأن خلقتهم التي كانوا عليها هي خلقة الإنسان الأول -آدم- فكان بشراً سوياً كما هي خلقته الآن، فليس بمتطور عن القرود العليا، وأن الحيوانات كلها متطورة تتغير هيئتها فتتحول بمرور الزمن إلى حيوان قريب من شكلها، وهكذا كان الإنسان ضمن ذلك السلم الارتقائي . وهذه النظرية ما كانت موجودة ولا سائدة بين المنحرفين عقلياً من بني البشر الذين تراودهم الشكوك حتى جاء لامرك[١] ومن بعده داروين[٢] فابتدعا هذه النظرية القائلة بالنشوء البطيء، وقبل هذا كان يسود رأي عند بعض هؤلاء الملحدين، وهو انقراض المخلوقات في الماضي وإيجاد أنواع جديدة، وبذلك أنشأ داروين نظريته هذه، والتي لاقت رواجاً وقبولاً لدى الملحدين الكافرين باللّه والديانات السماوية، وكذلك لاقت الترحيب عند الخارجين على الكنيسة في النهضة الحديثة المراقبة لظهور هذه النظرية، والتي تتلخص فيما يلي من النواميس:

١- ناموس تنازع البقاء .

٢- ناموس التباينات بين الأفراد.

٣- ناموس التباينات بالإرث .

٤- الانتخاب الطبيعي للفرد الحي الذي تتحقق فيه الأفضلية على سواه بحكم النواميس الثلاثة الأول.

وقد حاول أنصار هذه النظرية أن يبحثوا لها عن أدلة تؤيد ما تخرص به عقل داروين العفن. فزعموا أن الشبه الذي بين الإنسان وبعض الحيوانات كالقرود دليل على أن الإنسان أصله هذه القرود، أو أنه والقرد من أصل واحد. وقد صنفوا الإنسان من جملة الحيوانات الفقارية ثم اللبونية، وأقرب شبه بالإنسان من هذه الحيوانات القردة العليا كما يسمونها، وهي عديمة الذيل، ومن أدلتهم أن معظم الرئيسات الموجودة من الحيوانات تتخذ من الأشجار سكناً، وكذلك كان الإنسان، وتركيب ذراع الإنسان وكتفه دليل على ذلك، ويده ذات الحركة المرنة، وأصابع قدمه التي كانت سابقاً عضواً يقبض به على الأشياء. وقد شجعهم على هذا أن الإنسان والقرد يشتبهان في بعض الأجزاء والأعضاء والطبائع كالحيض، والإحساسات التي يلاحظونها لدى الحيوانات كالفرح والحزن... ونحو ذلك مما لا يخلو منه أي كائن حي.

كذلك لجأ أصحاب هذه النظرية إلى وسيلة أخرى في إثبات نظريتهم، وذلك عن طريق الحفريات التي شملت كثيراً من المواقع في قارات العالم المختلفة والتي قام بها الأثريون من هؤلاء، ولم يجدوا غير قطع من العظام البالية، التي لا تتميز لأي حيوان إلا بحدس وتخمين بعيدين عن المنهج العلمي. وحاولوا البرهنة على ما زعموه من التطور الغريب ووقفوا في حيرة من كيفية الانتقال من الفروق الحيوانية إلى الصفات الإنسانية الأخيرة، وقالوا: إنه لا يمكن أن يكون هذا الانتقال فجأة لأنه

غير معقول لوجود الفارق الـكبير بين الاثنين، ولكن الانتقال في زعمهم تم بالتدريج، إلا أن هناك حلقة مفقودة في طبقات الأرض، لم يستطيعوا الوصول إليها وقـد حاولوا الوصول إليها، وحتى يومنا هذا لـم يستطيعوا البت فيها برأي قاطع وراجح .

تلك هي نظرية النشوء والارتقاء التي ينادي بها هؤلاء الملحدون ومن شايعـهم من حاملي أبواق التـقليد الأعـمى للغرب من المسلـمين الذين يسيـرون خلف كل شيء ينادي به الغرب دونمـا ترو أو تدقيق نظر فيـما يأتيـهم من أعـداء الإسلام، والذين يـنادون إلى ترك كل ما يـدعو إليـه الدين، وذلك لتجربتهم المريرة مع الكنيسة وديانتـها النصرانية المحرفة، فظنوا دون علم منهم أن جميع الأديان كديانة الكنيسة، هذا بعضهم، وأما بعض منهم فقد جندوا أنفـسهم لهدم الإسلام لعلمهم أنه خـصمهم الألد والقـوي لأنه دين حق لا يتنافى مع العلم والعـقل، فـأرادوا أن يبعـدوا الجمـاهير عنه لئلا يؤثر عليـهم . والداروينية أو نظرية النشـوء والارتقاء ليست إلا نظرية إلحادية باطلة وليست من العلم في شيء . وقد عرضتها باختصار بسبب ضيق الوقت ولأن البـحث بهذا المستوى لا يتسع لعرض تلك النظرية بجـميع تفاصـيلها، وفـيما يلي رد على هذه النظـرية بإيجاز للأسباب التي ذكرتها آنفاً، ومن أراد المزيد في هذه النظرية فإن هناك كتباً قد ألفت في هذه النظرية وردها[٣] .

الرد على نظرية النشوء والارتقاء:

إن هذه النظرية باطلة من أساسـها فإن القائلين بها قـصدوا إلغاء فكرة الدين القائلة بوجود الإله الحق الخالق، فلما أرادوا أن ينفوا تلك الفكرة

قالوا : إنه لا يوجد خالق مدبر للكون ، بل إن المادة هي التي تفعل عن طريق الصدفة كل ما يراه الناس اليوم .

وتلك هي نظرة الإلحاد الحقة التي ينادي بها ماركس ومن على منواله من الشيوعـيين قديماً وحـديثاً . والمتأمل لهـذه النظرية يجد فيهـا تجنياً وافتراءً على اللَّه تعـالى خالق بني البشر أولاً، والذي أخبر في كـل كتبه السـماوية بالعنصـر الذي خلق منه الإنسـان الأول «أصل البشـرية آدم»، وطبع خلقـه على هذه الفطرة . ثم هي افتـراء على النوع البـشري الذي أكـرمه الـلَّه من بين سـائر المخـلوقات، وأعطاه مـا لم يعط غـيـره من المخلوقات في الأرض.

ثانياً : هي افتراء وتجنٍّ على المنهج العلمي.

ثالثـاً : أن المنهج العلـمي لا ينبني على تخـرصـات وأباطيل شـاذة صادرة عن عقليـات تحب الانفراد بالقول، وتعشـق الفساد في الأرض، وتحاول أن تغالط الناس متخـفية تحت مسمى: البحث العلمي والحقيقة التاريـخية!! وكل ذلـك تخميـن ووهم لا صلة له بالحقـيقـة التاريخـية والبحث العلمي الصـحيح المجـرد عن الهوى، فالأدلة التي يستـدل بها أصحاب هذه النظرية ليست إلا ضربـاً من الظن مبناها الفروض، وما كان كذلك لا يعـارض اليقيـن . إن نظرة خاصة تثـبت لنا بطلان هذه النظرية وأنها لا تعتمد إلا على التخـمين والخيال، ولا صلة لها بالمنهج العلمي الذي يدعيه أصحابها، فلم يثـبت أن واحداً من القرود له حوض كحوض الإنسان، وأن له قدرة على الربـط العقلي واستخدامـه، وما قام به بعض هؤلاء من عرض صورة مزورة لجنين القـرد وجنين الإنسان انكشف أمره

وسقطت أمانتـه، في محاولة إثبات هذه القـرابة وإطلاق الإنسان على ما يجدونه من حفـريات للعظام البالية غير دقـيق، بل هو من عند أنفسهم، وقد مرت قرون على هذه الحيوانات، ولـم تترق إلى ما هو أكمل، فبقي الأسـد أسداً، والقـرد قـرداً، والغزال غـزالاً . . . كـما أن الإنسـان هو الإنسان، والقـرد هو القرد ، ويقال لهـؤلاء: عن أي شيء ترقت الأنعام والبـهائم صـاحبـة القوائم الأربـعة؟! ولمـاذا بقي القرد الأول وانقـرض الحيوان الواسطة؟ ولم تقيسـون هنا وأنتم تنكرون القياس بحكم مذهبكم المادي ؟(٤) .

فكل ما يذكر أصحاب هذه النظرية لإثبـاتها ظن وتخمين، وهذا كافٍ في الرد عليهم، فـالظن والشك يلبسان هذه النظرية ويدحـضان كل دليل لهم، ولولا اللّٰه ثم خشـية الإطالة لأثبت بتقريرات أصـحاب هذه النظرية عقلياً ونظرياً، فالمشابهة الصورية لا تقتضي كل ما يدعونه، وإن أحدثت الظن، فإن الظن لا يعتمد عليـه في العقيدة قال تعالى: ﴿**وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾ [النجم: ٢٨] وكذلك لا يعتمد عليه في العلم الصحيح .

والقـائلون بهـذه النظريـة أنفـسـهم ينـادون بذلـك. فكيـف ترد هذه النظريــة إذن الأدلــة اليقـينيـة التـي ذكـرهـا اللّٰه لبـداية خلـق الإنسـان الأول" آدم" والتي كان الإجـمـاع عليهـا شبه منعـقد منذ عهـد الإنسان الأول وحتى ظهـور هذه النظريـة؟ .

وهذه المشابهــة المزعومة بين القــرد والإنسان يعارضهــا أمر يدفع ما أحـدثتـه من الظن وهو: أننا نرى الإنسـان في أول ولادته في غـاية من

الضعف عقلاً وجسداً لا يستطيع شيئاً ولا حتى إجلاس نفسه ولا أدنى حركة جسمية منتظمة، وهو في منتهى البله والبلادة، ولا يدري بما يحيط به، ولا يعرف الأرض من السماء ولا الجمر من التمر، فلا يستطيع تجنب مؤذٍ ولا اختيار نافع، حتى إنه لا يعرف كيف يلتقم ثدي أمه، وكل هذا وقدرة اللّه تعالى تعالجه حتى يصل درجة لا تقاس بحالة صغير الحيوانات الذي يولد على نوع من القوة تؤهله للحركة الكافية في مساعدة أمه، وعنده من الإدراك مقدار ليس عند طفل الإنسان، فيهتدي إلى غذائه لمعدله فيلتقم ثدي أمه دون تلك المعالجة التي تعالجها أم الإنسان وفي أقرب مدة لا يتأهل فيها الطفل البشري للجلوس على البنية، يقوى هو على السعي في جلب رزقه، فشتان ما بين القرد والإنسان، فلو كانا مشتقين من أصل واحد، أو مترقياً عنه، لكان من حق الإنسان أن لا يكون في تلك الحالة التي ذكرناها فلا يكون عند ولادته دون القرد الذي ترقي هو عنه،وبعد ذلك يتفوق عليه بمراحل وبهذا يتبين بطلان هذه النظرية من أساسها .

وخلاصة ما يرد به على هؤلاء الارتقائيين أن هذه النظرية عليها اعتراضات شديدة ملخصها ما يلي:-

أ - عدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع في الأحياء من آلاف السنين .

ب - عدم وجود الصور المتوسطة بين الأنواع اللازمة لمذهب التسلسل، كوجود حيوان أرقى من القرد وأدنى من الإنسان رتبة واحدة .

جـ - طول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الأحياء، فإن عمر الأرض لا يكفي لما تصوروه .

وجواب النشوئيين عن هذه الاعتراضات لا يغني عن الحق شيئاً[٥].

ونحن نعلم بنص الكتاب العزيـز عكس نظريتهم هذه وهو أن اللَّه عز وجل عاقب أقواماً عـصوا وخالفوا أوامره وأوامر رسله بأن مـسخهم قردة وخنازير قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)** ﴾ [المائدة: ٦٠]. ولعل هذا يكفي في الرد على هؤلاء عند كـل من له أدنى بصـيـرة، ويكفي المـسلم في الرد عليهم قول الباري عز وجل: ﴿ **مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾ [الكهف: ٥١].

التكوين الجسدي للإنسان في الإسلام:

لم يدع اللَّه في القـرآن مـجالاً لأية نظرية تـخوض في أصل الإنسـان وبداية خلقه، ولم يترك هذه المادة التـي خلق منها الإنسان في بدايته في إبهام وإجـمال منغلقـين دون العقل البشـري وفكره، ولكن اللَّه سبـحانه وتعالى بين بياناً واضحاً جلياً العنصر الذي خلق منه الإنسان الأول « آدم» وهو التراب، والعنصـر الذي استمر منه خلق ذريته إلـى يوم انقراضهم، وهذه هي المرحلة الأولى للإنـسان والتي نعتقـد جازمين بأنهـا لم تسبق بمرحلة غيرها، ولا بوجود إنساني بشـري قبلها. والمرحلة الثانية للخلق بعد آدم الإنـسان الأول، وزوجه حـواء، بدأت في تكوين الإنسـان بقدرة المصـور المبدع سبـحانه، فالبشـرية أصلها الثاني بعد التـراب هو الذكر والأنثى ولم يستـثن -فيمـا أعلم- أحد من هذا الأصل والقاعـدة الكونية والقدرية بعـد آدم الذي خلق من غير أم ولا أب وحـواء التي خلقت من

ضلع آدم، لم يستثن إلا عيسى عليه السلام الذي خلق من طرف واحد وهو من أم فقط، ولكن الأم نفسها - مريم عليها السلام- من ذكر وأنثى. وقد وردت ثلاث آيات في كتاب اللَّه توضح هذه القاعدة وهذا الأصل وهي: أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة هي آدم، ثم إنه خلق منها زوجها، فكانا الأصل الذي بثت منه البشرية، واستمر التناسل من هذين الأصلين الذكر والأنثى، وهذه هي الآيات التي ذكرت ذلك حسب ترتيبها في المصحف الشريف قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء: ١] . **وقال تعالى:** ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾[الأعراف: ١٨٩] وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: ١٣] . فهذه الآيات الثلاث تبين حقيقة المرحلة الثانية للإنسانية والتي ربطت قدرة اللَّه الخلاق العظيم بها إيجاد الإنسان من العدم إلى الوجود سبب لقاء ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فمنهما خلق الولد جميعاً(٦) . فهذه هي وحدة البشرية في أصل نشأتها ومادتها وليس هذا الكائن البشري فحسب، بل للكائنات الحية كلها، من كل الحيوانات في الأرض، كلها تخلق بقدرة الخالق بسبب لقاء بين الذكر والأنثى . وهاتان الكلمتان لهما - كما في تفسير المفسرين - معنيان يلتقيان في حقيقتهما ويهدفان إلى حقيقة ونتيجة واحدة، يخاطب اللَّه بها البشرية جمعاء .

أحدهما: من آدم وحواء . **ثانيهما**: كل واحد خلق من أب وأم.

فالأول: يدعو إلى ألا يتفاخر أحد على أحد.

والثاني: يستلزم أنهم من جنس واحد، فكل واحد خلق مما خلق منه الآخر(٧).

فالآيات واضحات في تحديد المراد، واعتبار آدم أصل البشرية، فلم تترك فرصة لاختلاف المختلفين وتأويل المتأولين فقد أشارت الآيتان الأوليان إلى آدم بالنفس الواحدة، وبالوصف الذي يقوم مقام التصريح بالاسم، ولم تقف الآيتان عند هذا الحد من البيان والإشارة إلى آدم وحواء، بل نصت آية النساء على زيادة في التوضيح على نشر الرجال والنساء منها ، وما أجمل وأبلغ كلمة «البث» في دلالتها على تدفق البشر من أصلهم الأول، وانتشارهم في أقطار الدنيا، على اختلاف أصنافهم، وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم ، وإلى بارئهم يعودون يوم المعاد(٨).

هذا وقد أجمع مفسرو القرآن الكريم المعتبرون على أن المقصود بالذكر والنفس الواحدة في الآيات الثلاثة إنما هو آدم وحواء، وحتى الذين يؤولون النفس والذكر والأنثى بالجنس، يجمعون على أن البشرية كلها من آدم عليه السلام، وقد حكى هذا الإجماع الإمام النيسابوري والرازي وابن حزم وسيد قطب وغيرهم(٩).

فبطل بذلك ادعاء كل قائل ينفي بنوة البشر لآدم عليه السلام، وسوف أقوم الآن بذكر الآيات القرآنية التي ذكرت أن آدم عليه السلام خلق من تراب، كما سأذكر الآيات الدالة على خلق آدم من طين، والتي ذكرت أنه خلق من الصلصال ، والتي دلت على أن الإنسان خلق من ماء، كما أن الأحياء كلها خلقت من ماء قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أ - الآيات الدالة على خلق الإنسان من تراب :

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٢- وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ [الكهف: ٣٧].

٣- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الحج: ٥].

٤- وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

٥- وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [فاطر: ١١].

٦- وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [غافر: ٦٧].

ب - الآيات الدالة على خلق الإنسان من طين:

١- قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢].

٢- وقال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

٣- وقــال تعــالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢].

٤- وقال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧].

٥- وقال تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١].

٦- وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١].

٧- وقال تعــالى: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦].

٨- وقال تعالى: ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١].

ج - الآيات الدالة على خلق الإنسان من الصلصال:

١- قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ، وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢٦ - ٢٨].

٢- وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤].

د - الآيات الدالة على خلق الإنسان من ماء:

١- قال اللَّه تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

٢- وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥].

٣- وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٤- وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

٥- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ، فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٢].

٦- وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

وهذه الآيات الثلاث الأخيرة فيها بيان خلق ذرية آدم، أما الآية الأولى هنا وهي: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان:٥٤]. فهي صريحة في أن آدم عليه السلام وذريته خلقوا من ماء.

وأما الآيتان الثانية والثالثة فهي تفيد أن كل كائن حي أو دابة قد خلقت من الماء، ومن ضمن ذلك - ولا شك - آدم وذريته .

فهذه هي نصوص الكتاب العزيز الدالة على مادة خلق الإنسان، وفيما يلي نصوص من السنة دلت على مادة خلق الإنسان الأساسية «الطين والتراب». وسأذكر نصين من السنة المطهرة: أحدهما يدل على عنصر الخلق الأول وهو التراب، والنص الثاني يذكر أن آدم عليه السلام مخلوق من طين، وثالثاً يجمع الأمرين .

الحديث الأول:

عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ خطب الناس يوم فتح مكة فقال: يا أيها الناس، إن اللَّه قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم وخلق اللَّه آدم من التراب، قال اللَّه تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات: ١٣] (١٠) .

الحديث الثاني:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قيل للنبي ﷺ أي شيء يوم الجمعة قال: «لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة والبعثة وفيها البطشة، وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا اللَّه فيها استجيب له» (١١) .

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: « إن اللَّه خلق آدم من تراب ثم جعله طيناً ثم تركه حتى إذا صار حمأ مسنوناً خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار، قال: فكان إبليس يمر

به فيقول: لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ اللّه فيه من روحه، فكان أول شيء جرى فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه أنه حمد ربه، فقال الرب: يرحمك ربك، ثم قال: يا آدم اذهب إلى أولئك النفر فقل لهم، وانظر ما يقولون، فجاء فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله، فجاء إلى ربه فقال: ماذا قالوا لك، وهو أعلم بما قالوا له، قال: يا رب لما سلمت عليهم قالوا: وعليك السلام ورحمة الله، قال: يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك، قال: يا رب وما ذريتي؟ قال: اختر يا آدم، قال: أختار يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين، فبسط اللّه كفه، فإذا كل ما هو كائن من ذريته في كف الرحمن عز وجل . .» الحديث [١٢].

وهذا الحديث يفسر المراحل التي مر بها خلق الإنسان والتي ذكرت في القرآن وهي:

١- مرحلة التراب .

٢- مرحلة اختلاط الماء بالتراب .

٣- مرحلة تكوين الطين من الماء والتراب .

٤- مرحلة تكوين الطين حمأً مسنوناً، وهو الطين الأسود .

٥- مرحلة الصلصال الذي هو كالفخار .

وإليك مدلولات هذه الألفاظ التي مر بها خلق الإنسان أو أطوار خلق الإنسان « التراب، والماء، والطين، والحمأ المسنون، والصلصال، والفخار» من معاجم اللغة العربية:

أ ــ التراب: جمعه أتربة وتربان، والطائفة من ذلك: تربة وترابة، يقال: أرض طيبة التربة أي خلقة ترابها، وأترب الشيء وضع عليه التراب فترب أي تلطخ بالتراب، وتترب فلان تتريباً إذا تلوث بالتراب، والترباء نفس الأرض(١٣).

ب ــ الماء معروف والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام، وأصله: موه بالتحريك لأن جمعه «أمواه» في القلة، و«مياه» في الكثرة مثل: جمل وأجمال وجمال، ولذهاب الهاء منه لأن تصغيره «مويه» ، و«موّه» الشيء تمويهاً : طلاه بفضة أو ذهب وتحت ذلك نحاس أو حديد، ومنه «التمويه» وهو التلبيس، والنسبة إلى الماء «مائي» وإن شئت ماوى(١٤).

جـ ــ الطين: الوحل، واحدته طينة، ويوم طان: كثير الطين، والطينة : قطعة من الطين يختم بها الصك ونحوه، وطان الحائط والبيت والسطح: طلاه بالطين، والطيان صانع الطين، وحرفته الطيانة، والطينة: الخلقة والجبلة(١٥).

د ــ الحمأ المسنون: الطين الأسود هو الحمأ بفتحتين، وكذلك الحمأة بسكون الميم، والمسنون: المتغير العفن المتكرج(١٦).

هـ ــ الصلصال: من الطين ما لم يجعل خزفاً، وكل ما جف من الطين والفخار: فخار فقد صل صليلاً، والصلصال: الطين اليابس وإذا أصابته النار فهو فخار، والصلصال: الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلل إذا جف، فإن طبخ بالنار فهو الفخار(١٧).

وهكذا رأينا أن عناية اللّه تعالى في القرآن والسنة بالإنسان الأول

شاملة وظاهرة، لئلا يضل الناس عن بدايتهم فهذه هي العناصر التي خلق منها الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام، واضحة ولا تحتمل التأويل، ولا يسع أي مسلم يؤمن بالله تعالى بوحيه ورسوله ﷺ أن ينكرها، فهذه آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ جاءت مفصلة وموضحة العناصر التي خلق الله منها الإنسان سواء كان ذلك في خلق آدم نفسه أو في نسبة البشرية إليه بواسطة نسبتهم إلى العنصر الذي خلق منه آدم عليه السلام .

يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**﴾ [الروم: ٢٠]: «إذا» وهي للمفاجأة، يقال: خرجت فإذا أسد بالباب، وهو إشارة إلى أن الله تعالى خلقه من تراب بكُن، فكان، لأنه صار معدناً ثم نباتاً ثم حيواناً ثم إنساناً، وهذا إشارة إلى مسألة حكمية،وهي أن الله تعالى يخلق أولاً إنساناً فينبه إلى أنه يحيي حيواناً ونامياً وغير ذلك، لا أنه خلق أولاً حيواناً، ثم يجعله إنساناً، فخلق الأنواع هو المراد الأول ثم تكون الأنواع هي الأجناس بتلك الإرادة الأولى، فالله تعالى جعل المرتبة الأخيرة في شيء البعيد عنها غاية من غير انتقال من مرتبة إلى مرتبة من المراتب التي ذكرناها»(١٨) . فهذه النصوص تفيد أن الله تعالى خلق الإنسان نوعاً مستقلاً لا بطريق النشوء والارتقاء،ولم يشتقه من حي آخر كما يقولون. ومع ذلك فإن الله ترك بيان جميع ما ذكره هؤلاء من ترقي الإنسان من المادة البسيطة حتى بلغ القرد ثم إلى أن يبلغ الإنسان بل اقتصر سبحانه على قوله ﴿**وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ**﴾[السجدة :٧] بل كان من حكمته أن يشرح تلك التطورات والترقيات ويفصلها حسبما جرى عليه في

تفصيل خلق ذرية الإنسان، فإنه فصّله في نصوص الشريعة بأنه خلقهم من تراب ثم من نطفة ثم علقة ثم من مضغة ثم أخرجهم طفلاً [١٩].

وهكذا نرى أن أولئك التطوريين يقولون على اللَّه بلا علم.

والأسف كل الأسف أن نجد من أبناء المسلمين من يسير في خطاهم وينادي بأفكارهم دونما تأمل وتفكر ويتركون دينهم السليم من التناقض والنقص في جميع مجالاته، كيف لا وقد تعهد اللَّه بحفظه، ثم إنه الخالق وهو الآمر باتباع هذا الدين، فهل تخفى عليه خافية من خفايا الإنسان؟! كلا ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤].

المطلب الثاني: النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه الروحي:

معنى الروح:

الروح بالضم في كلام العرب: النفخ، سمي روحاً لأنه ريح يخرج من الروح. [٢٠] وجمعه أرواح، وقيل: الروح والنفس واحد غير أن العرب تذكر الروح وتؤنث النفس، والروح يذكر ويؤنث، وكأن التأنيث على معنى النفس.

قال بعضهم: الروح: النفس فإذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة، ومذهب أهل السنة أن الروح هو النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد، وأنه جوهر لا عرض ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩] [٢١].

وقال الراغب: «الرَّوح والرُّوح في الأصل واحد، وجعل الروح اسماً للنفس؛ وذلك لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس نحو

تسمية الإنسان حيواناً، وجعل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] وقوله: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [ص: ٧٢]. وإضافة الروح إلى نفسه إضافة ملك، وتخصيصه بالإضافة تشريف له وتعظيم. والرَّوح التنفس، وقد أراح الإنسان إذا تنفس[٢٢].

فحاصل كلام أهل اللغة أنهم يطلقون الروح على التنفس أو النَّفْس، لأن النفس هي التي تشتمل على الحياة فجعلوا الروح والنفس بمعنى واحد، ولذلك يقولون: خرجت نفس فلان، وخرجت روحه، ويقصدون بكلا القولين أنه مات.

ماهية الروح وحقيقتها:

للعلماء والمفسرين في الروح أقوال كثيرة أظهرها أن المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة.

قال الإمام الرازي: «أما ما حقيقة الروح وماهيته؟ أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبائع والأخلاط، أو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب، أو هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام، أو هو عبارة عن موجود يغاير هذه الأجسام والأغراض؟ فأجاب اللَّه بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر، وأما الروح فإنه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث قوله: «كن فيكون» فقالوا: لم كان شيئاً مغايراً لهذه

الأجسام ولهذه الأعراض؟ فأجـابه اللَّه عنه: بأنه موجود يحدث بأمر اللَّه وتكوينه وتأثيـره في إفادة الحـياة لهذا الجـسد، ولا يلزم من عـدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة ولم يلزم من كونهـا مجهولة نفـيها فكذلك هاهنا وهذا هو المـراد من قوله: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[الإسراء: ٨٥] (٢٣).

وقال الحافظ ابن كـثير: «إن الخلاف واقع بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها، والمـقرر أنها ذات لطيفة كالهـواء سارية في الجسد كسريان المـاء في عروق الشجر، والروح التي ينفخـها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابهـا بسببه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء. كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسماً خاصاً، فإذا اتصل بالعينة وعصر منها صار ماءً مصطاراً أو خمراً ولا يقال له ماءً حينـئذٍ إلا على سبيل المجاز، وكذا لا يقـال للنفس روح إلا علـى هذا النحـو، وكـذا لا يقـال للروح نفس إلا باعتـبار مـا تؤول إليه، فحـاصل ما نقـول: « إن الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منهـا ومن اتصالها بالبدن فهي هي من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن واللَّه أعلم» (٢٤).

وقال أبو حـيان: «والروح على قـول الجمهـور هي الروح التي في الحيـوان وهو اسم جنس، وهذا هو الظاهر، ومعـنى: «من أمر ربي» أي فعل ربـي كَوّنها بأمـره، وفي ذلك دلالة على حـدوثها، والأمر بمـعنى الفعل وارد قـال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾[هود: ٩٧] أي فعل فرعـون، والظاهر أنهم سألوه عن ماهيـتها وحقـيقتهـا، وقيل عن كيفـية

مداخلهـا الجسد الحيـواني وانبعاثهـا فيه وصورة مـلابستها له وكـلاهما مـشكـل لا يعلمـه إلا الله. وأجـــمع علمـاء الإسـلام على أن الروح مخلوقة، وذهب كـفرة الفلاسفة وكـثير ممن ينتـمي إلى الإسلام إلى أنها قديمة، واخـتلاف الناس في الروح بلغ سبعين قولاً، وكـذلك اختلفوا: هل الروح النفس أم شيء غيرها»[٢٥].

وهكذا نجد أن الإنسان لم يفته من قـديم أن يفرق بين عنصره المادي ممثلاً في الجـسد، وعنصره المعنوي ممثـلاً في الروح. وقد ربط الحياة والموت بهـذه الروح التي تمنحه الحيـاة، فكانت الروح تعني النفس من حيث لا بقاء لنفس بغير روح.

وشغل الفلاسفة والمـفكرون من قديم الزمان بأمر هذه الروح، وقلما نلحظ في كلامهم عنها أنهم يفرقون بينها وبين النفس فهم يذكرون الروح ويعنون بها النفس كما يذكرون الـنفس ويعنون بها الروح. وقد أعياهم أن يصلوا إلى كنهـها وإن عرفـوا من ظواهرها أنها سر الـحياة مـتى فارقت الجسد فسد ومات.

ومن حيث كانت سر الحياة انتفى عنـد أكثرهم القول بموتها وفنائها، لأن ما به تكون الحياة لا يفنى ولا يموت.

أما من أين جـاءت وإلى أين تمضي؟ فـذلك ما تحيـرت فيه العـقول والأفكار، وتاهت الظنون وضلت الأوهام.

والقرآن الكريم يفرق بين الروح والنفس فليستا فـيه مترادفتين، فالروح وردت فيه إحدى وعشرين مرة يراد بها الآتي:

١- جبريل عليه السلام: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

٢- الروح بمعناها المراد هنا السر الإلهي للحياة: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩]. وقال: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾

[السجدة: ٩].

وقال: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾

[التحريم: ١٢]

وقال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

٣- الروح بمعنى كلام اللَّه أو القرآن قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال: ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ ﴾ [غافر: ١٥].

ومما تقدم يتبين لنا أن الروح ليست منسوبة إلى الإنسان وإنما المنسوب للإنسان هو النفخة الإلهية الكريمة، وإذا نسبنا للإنسان روحاً - تجاوزاً- فإنما يكون ذلك باعتبار أنه الشيء الغيبي الذي يتلقاه ابن آدم بالنفخة الإلهية الكريمة من الروح، وهو ما نطلق عليه روح الإنسان.

والنتيجة الأهم أن النفخة الإلهية الكريمة في الإنسان من روح اللَّه ليست هي مصدر حياة الناس، إذ ليس في الآيات السابقة ما يدل على هذا المعنى إطلاقاً، حيث إن كل ما تثبته الآيات هو أن اللَّه عز وجل يسوى الإنسان وينفخ فيه من روحه.

فإذا كانت الروح ليست مصدر حياة الإنسان فما هو إذن مصدر حياة الإنسان كما يدل عليه القرآن ؟

والجواب هو أننا إذا عدنا إلى آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الموت والحياة لوجدنا أن مصدر حياة الكائن الحي هو النفس، وأن سبب موت الإنسان هو خروج هذه النفس من جسده، وليس خروج الروح، والآيات التي ذكرت فيها النفس كثيرة جداً، فقد ذكرت مفردة مائة وثلاثاً وخمسين مرة.

وهي جميعها تعني الذات بعامة بعنصريها المادي والمعنوي ومن ثم يجوز عليها الموت والقتل[٢٦]، وسأكتفي بذكر عدة آيات تدل على أن الموت والحياة يقعان على النفس فمنها:

١- قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

٢- وقال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

٣- وقال تعالى: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** ﴾ [المائدة: ٣٢].

٤- وقال: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٢].

إلى غير ذلك من الآيات والتي ذكرت لك أنها بلغت مائتين وإحدى وسبعين آية جمعاً وإفرادا(٢٧).

والنفس في القرآن الكريم ذكرت لعدة اعتبارات منها:

أ - النفس هي التي يقع عليها الموت والحياة كما سبق بيانه.

ب - النفس هي الضمير أو العنصر المعنوي من الإنسان.

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ١، ٢]. وقوله: ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾[القيامة: ١٤] وقوله: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] وقوله: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] وغيرها.

جـ- النفس هي التي توصف بالرضى والطمأنينة والتضرع والخيفة والاستيقان والإيثار والخداع والحسد والمقت والوسوسة قال تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠]. وقال: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وقال: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. وقال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]. وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]. وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]. وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

د- والنفس هي التي يتعلق بها الإيمان والكفر والهوى والضلال والتقوى والفجور والخيانة. قال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤] وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] وقال: ﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

هـ- والنفس هي التي تحمل التكليف وتتلقى الجـزاء ثواباً أو عقاباً. قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢] وقال تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة:٢٨٦] وقال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠].

وبهذه الإطلاقات لا تكون النفس مرادفـة للروح التي هي سر الحياة، وكذلك ليست مرادفة للجسد.

وهكذا رأينا الروح في الإسلام فهو يقرّ بهـا، ويقول بأنها مخلوقة للَّه وتحت أمره، لكن ما كنهها؟ وما ماهيـتها ؟ وما علينا نحن المسلمين إلا التصديق والتسليم بمـا جاءنا عن اللَّه دون البحث في ماهية قضيـة غيبية استأثر اللَّه بها وما أحسن قول الإمام أبي الفرج بن الجوزي إذ يقول: ثم اختلفوا هل الروح النفس أم هما شيئان فلا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان عـلى شيء من ذلـك، وإنمـا هـو شيء أخـذوه عـن الطب

والفلاسفة؟ فأما السلف فإنهم أمسكوا عن ذلك لقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[الإسراء: ٨٥] فلما رأوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا، والوحي ينزل، والرسول ﷺ حي علموا أن السكوت عما لم يحط بحقيقة علمه أولى[٢٨].

هذه نظرة وحقيقة الإسلام للروح، فهل بنا نرى نظرة الآخرين ؟ .

الروح عند القدماء:

فكرة الروح كانت واضحة أو شبه واضحة في كل الفكر القديم وإن اختلف شكل هذه الروح من مكان إلى مكان بطبيعة الحال بين تناسخ الأرواح في الفكر الهندي القديم مثلاً، وبين عودة هذه الروح إلى جسدها تنتقل إلى جسدها بعد فترة، طالت أو قصرت في الفكر المصري القديم، فالهنود يعتقدون أن الروح بمجرد مغادرتها جسدها تنتقل إلى جسد آخر حي، ومن ثم كان إحراق جسد الميت، وحتى الآن عقيدة الحرق عميقة لدى الهنود لهذا السبب. وهذه الفكرة مؤسسة على عقيدة خلود الروح والعودة إلى التجسد، أو رجعة الروح، والإيمان بإله واحد «براهما» وبالسماء التي تصعد إليها الأرواح الصالحة فيتلقاها «باما» الذي يرفعها إلى الجنة، حيث تنعم بكل اللذائذ الأرضية التي تكون قد اكتملت وأصبحت أبدية، ويعد مذهب «البوجا» الهندي بوجه خاص، من المذاهب الشرقية الهامة في الفهم العميق للروح، والإيمان بالروح وبالخلود ، ويبلغ ذروته عند أتباع هذا المذهب بوجه خاص بما يستتبعه الإيمان من وجوب اتباع أنظمة صارمة من الزهد والتقشف وضبط النفس للوصول إلى المذاهب الروحية القوية[٢٩].

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الروح تغادر جسدها لفترة وأنها سرعان ما تعود إليه، ومن ثم كان اهتمامهم بإقامة القبور والأهرامات ووضعهم ألواناً من الشراب والطعام والحلي بجوار الجسد حتى يستخدمها الميت بمجرد عودة الحياة إليه، كما كانوا يثقبون ثقباً في القبر، تعود منه الروح حين تعود، وأكثر من هذا أنهم كانوا يعتقدون أن الآلهة التي عبدوها حيوانات كانت أو بشراً قد حلت فيها أرواح إلهية والتي كان عليها أن تسكن جسداً تتحد فيه عند هبوطها إلى الأرض.

ومن قديم حاولت البشرية قبل عصر الأديان أن تقاوم فكرة العدم، وكأنها أدركت بفطرتها أن كل مغريات الوجود، لا تكفي لحماية الإنسان من رفض حياة تنتهي حتماً بهذا المصير الرهيب.

وكانت عقيدة البعث في الديانة المصرية القديمة محاولة مستبسلة لمقاومة فكرة العدم بعد الموت، وهذه العقيدة هي التي هيأت لإنسان وادي النيل قدرته المبدعة على بناء الحضارة البشرية الأولى، وقد ساير الفكر المصري القديم هذه الفطرة فقد كان التفكير الفرعوني أول تفكير جدي منظم في شأن الروح فكانت الحضارة الفرعونية رائعة ورائدة[٣٠].

كذلك نجد الروح في فكر فلاسفة الإغريق وعلى رأسهم أفلاطون القائل بأن الروح « النفس في إطلاقهم» موجودة في عالم العقل أو المعنى، أو في عالم الصحائح والمثل، وهي تعرف الحقائق بالتذكر ولا يحجبها عنها حجاب الجسد وضلال الحس والشهوة وهي خالدة لا تموت، لأنها جوهر بسيط، لا يتحلل كما يتحلل الجسد المركب، ولكنها تلابس المادة في حياتها الجسدية ثم تفارقها إلى عليين لتعيش بين الأرباب والملائكة والأرواح.

والنصرانية في نظرتها للروح نحت منحى الإغريق، وذلك أن الرومان ورثوا الإغريق في العلم والفلسفة والفن وتأثروا بهم في كل شيء، بعد أن سيطروا على بلادهم وصيروها جزءاً من الإمبراطورية الرومانية الضخمة وفي الحضارة الرومانية ظهرت الدعوة المسيحية التي تأثرت بعد رفع المسيح عليه السلام بالإغريق، فالجسد والروح كانا على طرفي نقيض عند الفلاسفة الإغريق، وظلت الخصومة بينهما في النصرانية بل لعلها زادت شدة، وتعد تلك الخصومة بين الروح والجسد هي المحور الأساسي الذي تقوم عليه النصرانية كعقيدة دينية، وبدون ذلك المحور تختل تلك العقيدة أو يختل فهمها، فكونوا العداء بين الروح والجسد وجعلوا الأول سامياً والآخر مخطئاً مما أنشأ عندهم الرهبانية[٣١].

وهكذا ظلت هذه النظرة سائدة عند جميع المذاهب والديانات ـ عدا الإسلام ـ حتى العصر الحديث والذي ظهرت فيه نظريات جديدة عكست نظرة الكنيسة للروح وخاصة في أوربا التي عاشت أسوأ عصور الانحطاط والكبت الكنسي، والذي غير وجهة نظر أوربا إلى الكنيسة هو ظهور عصر العلم والاكتشافات التي أظهرت كثيراً من أخطاء الكنيسة وألاعيبها الرائجة آنذاك.

الروح في العصر الحديث:

إن بداية الاهتمام بالروح كانت سنة ١٨٤٨م في أمريكا حيث عزيت إليها مجموعة من الظواهر، وإن اكتشاف الاتصال اللاسلكي وتقدمه كان عاملاً مهماً في تذليل كثير من الاعتراضات النظرية، التي كانت تثار في الماضي، حول وجود عالم الروح هذا، لأنه عن طريق هذا الكشف

الجديد، الذي أصبح من المفهـوم التحدث عن أطوال الموجات، وكيف أن لكل شيء رتبة تردد أو اهتزاز، وكذلك طول المـوجة، كما أصبح من المفهوم التـحدث عن العقل الكوني العام بوصفـه جهازاً للإرسال، وعن الإنسان بوصفه جهازاً صغيراً للاستقبال، محدود القدرة بمستوى صاحبه.

وعلم الروح فرع من فروع علم النفس وإليـه ينتمي وينتسب، وإن كان المهتمون بشؤون الروح أنفسهم ينكرون هذه الصلة بين علم الروح وعلم النفس.

ويكفـينا إيضاحـاً لهذا أن «مكدوجل» والذي يعـتبـر من أكبر عـلماء النفس، كان مـمن وجهوا البـحوث في علم النفس وجهـة خاصة فـأنشأ معـامل «للباراسـيكولوجي» وهي المعـامل التي نمت مع الوقت، وتولى إدارتهـا، وقد نجح «مكدوجل» في زعـزعة أسس علم النفس الـمادي، وتقويض كيانه ليحل مكانه علم الروح أو علم النفس الروحي [٣٢].

وكما بالغ علم النفس المـادي في بيان أهمية الجسد وحـاجاته كذلك بالغ علم النفس الروحي في بـيان أهميـة الروح في حـياة الإنسان حـتى قالوا: إن الروح هي التي تمنح الإنسان شخصيته، وإن الروح دون الجسد لا تنقص شـيئاً يذكـر، وتكون هي جوهر الإنسـان، فالروح هي صـانعة الجسد، كما هي صانعة مصيرها في حدود نواميس الطبيعة. ومن ثم وقع رجـال علم النفس الروحي فـي نفس الخطأ الذي وقع فـيـه رجـال علم النفس المادي حـيث بالغوا في إعطاء الأهمية لجـانب واحد من جوانب الإنسان دون سـائر الجوانب، ومن ثم لم يكن غـريباً أن يفكروا بلغـتهم وأن يقدروا الدين «غـريزة» كغـريزة البحث عن الطعـام أو الشراب أو أية

غريزة أخرى، وأن هذه الغريزة الديـنية أودعتها في النفوس طبيـعة حانية لخدمة تطور الذات وارتقـائها عن طريق إحساسها الدفين بـالقوة الخالقة وبالخلود والثواب والعقاب[٣٣].

كـانت هذه نظرة الإسـلام وغيـره من المـذاهب للإنسان من حـيث تكوينــه الجسدي والروحي، والآن سأختم هذا البحث بمقارنة صغيرة بين هذه المذاهـــب -سواء التي غالــت في جانب الروح أو الجـسد - وبين الإسلام الذي توسط في ذلك وأعطى كل ذي حق حقه.

مـقـارنة بيـن الإسـلام والأديـان الأخـرى فـي النظـرة إلى مطالـب الروح والجسد:

كما مر بنا في المطلبين السابقين رأينا أن الإنسان يتكون من عنصرين: عنصر مادي ينمو ويتحرك، وآخر بريء من المادة له تلك المظاهر الخاصة من تفكير وعلم وإرادة، وحب وبغض وخلق ذميم أو كريم.

فهذان العنصـران لكل منهما رغائب ومطالب يتوق إلى تحـصيلها في أقصى حدودها، فللجـسم مطالب من الطعام والشراب والجنس... إلى غيـر ذلك، وللروح مطالبه كـذلك يمكن أن تنال منهـا حظوظاً متـفاوتة حسب سعيها ومجاهدتها.

والروح والجسد متصـلان، وفي هذا الاتصال ألوان من البلاء، فصار كثير من الناس عـبيداً لشهواتهم، وانحطت بشريتهم إلى درجـة الحيوانية المحـضة، لا يرغبون من الحـياة إلا ألوان الطعام والشـراب وسائر أنواع الشهوات.

بل ربما انحدروا إلى ما وراء الحيوانية المعتادة بما وهبوا من التفكير، فهذا العالم المادي الذي كان تحت تأثير اعتقاد جازم أنه بتقدمه المادي المطرد قد بلغ مرتبة الكمال، غير أن الثلاثين عاماً الأخيرة غيرت وبدلت هذا الاعتقاد.

فالرقي المادي الذي وصلنا إليه في هذا القرن لم يؤت ثمرته الفعلية من إسعاد الناس، بل على العكس جلب التعاسة والخراب الناجمين عن الحروب المتلاحقة، فلا زال القوي يفترس الضعيف، ولا زال الاستعمار ينشب مخالبه في صدور الدول الضعيفة، ولا زالت الأجناس يكره بعضها البعض، وهذا كله يدلنا على إفلاس الحضارة المادية الخالية من القيم الروحية[٣٤].

فالفكرة التي مازالت مسيطرة في ميدان الديانات والفلسفة أن الروح والجسد يتعارضان في مصالحهما فمن المتعذر رقيهما وازدهارهما جنباً إلى جنب، فالجسد والعالم المادي سجن للروح، والعلائق الدنيوية ورغباتها هي الأصفاد والأغلال التي تقيد بها الروح البشرية.

وكان نتيجة هذه الفكرة التفريق بين الطرق الروحية والمادية، فالذين آثروا المادة يئسوا من أول خطواتهم من مسايرة الروح، فانغمسوا في عبودية المادة كل الانغماس وابتعدوا عن الروحانية كل الابتعاد، والذين آثروا الروحانية قصدوا لرقي أرواحهم طرقاً ومناهج تبعدهم عن الشؤون الدنيوية؛ ذلك أنه من المستحيل في نظرهم أن يوجد لارتقاء الروح طريق يمر بين الحياة الدنيا وشؤونها، ولهذا تراهم في سبيل ترقية الروح قد أهملوا أمر الجسد، ومن أجل هذا تراهم قد اخترعوا رياضات بدنية

شاقــة، قضت على رغــبات النفس مثــل : البراهمة والبــوذيين في الهند وغيرهم، فمــنهم من يقللون طعامهم وشرابهم إلى أن يصيروا كــالهياكل العظمية هزالاً ونحولاً، بل منهم من يجلســون وينامون على أسنة مشرعة من المسامير.

والنصرانيــة عندما ننظر إليهــا نجدها ديانة زهد وتخلص من عــلاقات الدنيا واعتداد بالروح دون الجسد.

وهكــذا تجد كلاً من المــاديــين والروحيــين مغاليــاً في أحد الجانبــين دون الآخــر(٣٥).

وللإسلام نظرة مختلفة...

يمتاز الإسلام عن غيره من الأديان المعروفة بالعدل بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فهــو لا يأمر المسلم أن يحرم نفسه من مــتعة مادية ولا ملذة جسديــة ما دام يتناولها من طريقهــا المشروع وفي حدّها المــعتدل، حــتى إننا نلاحظ أن أكــثر الآيات القــرآنيــة تحض على طلب المنزلتــين الروحية والمادية معاً كقوله تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [القصص: ٧٧].

وأباح الإسلام لمــتبــعيه التــجمل بأنواع الزينة والتــمتع بالمــشتهــيات المشروعــة على شرط الاعتدال، قــال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي**

الْحَيَاة الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأعـراف: ٣١، ٣٢] وقال عليه الـصلاة والسلام: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة»(٣٦).

وأرشد اللَّه المـؤمنين إلى ما يجب أن يكون عليه دعـاؤهم من الجمع بين مطالب الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ، وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [البقرة: ٢٠٠ -٢٠٢].

ويقول جل شأنه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾** [المائدة: ٨٧، ٨٨] فاللَّه سـمى حرمان النفس مما أحله اللَّه اعتداءً، أي: خروجاً عن طريق العدل بين الطبيعتين الروحيـة والمادية، وغـاية ما نلحظه مـن الاعتناء بالناحـية الجسـدية هو تصريح القرآن بأن اللَّه خلق الأرض ليسخرها للإنسان في منافعه.

قال تعالى مُمتناً علينا: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الجاثية: ١٣].

فهاتان الآيتان تشيـران إلى مدى سلطان الإنسان على العوالم المادية، ومثل هذا القول من المعجزات الفلسفية للقرآن لم يقل به أحد قبل القرن

التاسع عشر من الناحية العلمية فقد اعـتبر الكون يومئذ مجهولاً مزعجاً، واليوم بعد أن سخر الإنسان العـالم لمنافعه نستطيع أن نقول: إن الإسلام كشف عنه قبل أن تظهر بوادره، وقـبل أن يطمئن الإنسان على وجوده في الأرض.

وفي هذا البـيـان يـقـول الرسـول مـحـمـد ﷺ: «إني لم أؤمـر بالرهبانية»[٣٧] وقوله «إن الرهبانية لم تكتب علينا»[٣٨]. لأن الرهبانية تجعل الصالحـين من عباد اللَّه لا يهتـمون إلا بنجاتهم فـينزوون إلى الصوامع، وينتقل زمام العالم إلى من لاَ هَمَّ له إلا الفساد في الأرض.

أما نظرة القرآن للرهبـانية الموجودة عند النصارى فقـد قال اللَّه عنها: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[الحديد: ٢٧].

والمعنى: أن الرهبانية قد ابتدعها النصارى فألزمهم اللَّه بها، وذلك أن العبادات والنذور يوجبها اللَّه على المرء حـين يلزم بها نفسه، وما أوجبها اللَّه عليهم إلا ليبتغوا بذلك رضوانه، فالرهبانية بمعناها المجرد هي رهبة اللَّه وخشيته وهذا أمر مرغوب، لكن الرهبان أساؤوا في ذلك «فما رعوها حق رعايتها». أما الذين ترهبنوا إيماناً واحتساباً فلهم أجرهم عند ربهم، أمـا الذين أساؤوا ومـا رعوا حق الرهبـانيـة فهم الخـارجون عن طاعـة الله[٣٩].

وقد وردت عن الرسول ﷺ أحاديث كثيرة تنهى عن الرهبانية وتأمر بالاقتـصاد والتوسط في الطاعـة وتدعوا إلى المسـاواة بين مطالب الروح والجسد. ومن هذه الأحاديث حـديث قصة الثـلاثة الذين أتوا إلى أزواج

الرسول محمد ﷺ فسألوا عن عبادة الرسول محمد ﷺ، وهو حديث متفق على صحته وإليك نصه:

«عن أنس رضي اللَّه عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلمّا أخبروا كأنهم تقالّوها وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول اللَّه ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما واللَّه إني لأخشاكم للَّه وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٤٠]

ومنها أيضاً ما رواه أنس بن مالك رضي اللَّه عنه - أيضاً - قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به فقال النبي ﷺ: «حلوه ليُصَلِّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»[٤١].

ومنها أيضاً ما رواه وهب بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: «آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم، فنام ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي

ﷺ، فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»[٤٢].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على وجوب توزيع الحقوق التي على الإنسان أن يوفيها جميعاً.

مما يوضح أن الإسلام يدعو إلى التوسط بين مطالب الروح والجسد. والحق أن ما ذهب إليه الإسلام من الجمع بين الروح والمادة هو ما تقبله الفطرة الإنسانية، فاللّه لم يخـلق للإنسان شهواته وقواه الطبيعيـة عبثاً أو لإخمـادها بالرياضة النفسـية، ولكنه خلق الإنســان على هذه الصورة من تنوع الغرائز لـيتمكن من السـيطرة عليهـا وتوجيهـها إلى المثـل العليا، فالحالة الوسطى بين الـروحانية المتطرفة والماديـة المغالية أمر تستـدعيه حياة المجتمع، ولا يوجد فيـما بين أيدينا من التعاليم ما هو حاصل على هذه الميزة غير الإسلام[٤٣].

المبحث الثاني: النظرة إلى الإنسان من حيث تكريمه ومسؤوليته:

توطئة:

الإنسان مخلوق مكرم ومسؤول عن أعماله، وقد حمله الله تعالى أمانة التكليف، فكانت هذه المسؤولية من أوجه تكريمه وتفضيله على كثير من مخلوقات الله تعالى، وهي التي رفضت هذه الأمانة حينما عرضت عليها وطلب منها الالتزام بها فرفضن حمل الأمانة وكرم الله الإنسان بتحميله لها، وجعل جزاء حمل هذه الأمانة والالتزام بكل توصيات تلك الأمانة ، رضوان الله والفوز بالجنة ومجاورة ورؤية رب العالمين، كما جعل لمن تنكب ما حمّله وأعرض عن توصيات تلك الأمانة العذاب والحسرة والندم الشديد يوم لقياه.

وفي هذا المبحث سأقسم هذا الموضوع إلى مطلبين:

١- المطلب الأول: النظرة إلى الإنسان من حيث تكريمه.

٢- المطلب الثاني: النظرة إلى الإنسان من حيث مسؤوليته.

المطلب الأول: النظرة إلى الإنسان من حيث تكريمه:

خلق الله الإنسان وجعله خليفة، وفضله على سائر المخلوقات، وسخر له ما في السموات والأرض، واختار منه الأنبياء والمرسلين واصطفاهم واجتباهم وأمر الملائكة بالسجود لآدم احتراماً وتقديراً واعترافاً بفضله وتحيةً له، وخلقه في أحسن تقويم وسخر له كل شيء حتى الملائكة جعلهم لخدمته، وكرمه في صور متعددة ومشاهد كثيرة.

وأرى أن أهم صور التكريم الإلهي للإنسان في أمرين:

١- العقل الذي ميزه به على سائر مخلوقات الأرض.

٢- تشريع الأحكام التي تهديه سواء السبيل وترشده إلى أقوم الطرق، وتحقق له أسمى سعادة في الدنيا والآخرة.

ولذلك أردت الاقتصار في هذا المطلب على هذين الأمرين اللذين يكون الإنسان بدونهما حيواناً بل أحط وأضل من الحيوان، لأنه كان يتصف بهذه الأمور قبل أن يفسدها بنفسه، على حين أن الحيوان لم يملك هذا أصلاً، ولذلك فإن من يذهب عقله بالهوى أو التقليد أو المخدرات يكون أحط من الحيوان.

كما أن من يعرض عن منهج الله الذي اختاره له بارئه وخالقه لإسعاده دنيا وأخرى أسفل من حقارة الحيوان كما ذكر الله أن من اتصف بذلك فهو في أسفل سافلين. والآن أبدأ بذكر النقطة الأولى وهي التكريم بالعقل.

أ - تكريم الإنسان بالعقل :

معنى العقل:

العقل: الحجر والنهى، ضد الحمق، والجمع عقول، وعقل فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء، ورجل عاقل: وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، وقيل العاقل: الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم: قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، والمعقول: ما تعقله بقلبك، والمعقول: العقل؛ يقال: ماله معقول، أي: عقل، وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كميسور ومعسور، وعاقله فعقله يعقله بالضم: كان أعقل منه، والعقل: التثبت في الأمور.

والعقل القلب، والقلب العقل، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي: يحجبه، وقيل: العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان.

يقال: لفلان قلب عقول، ولسان سؤول، وقلب عقول، أي: فَهم(٤٤).

قال الراغب: «العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة: عقل... وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فإشارة إلى الثاني دون الأول... وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأول. وأصل العقل: الإمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها. وعقل لسانه، كفّه ومنه قيل للحصن: معقل وجمعه معاقل»(٤٥).

نظرة المذاهب إلى العقل:

المذاهب والأديان المختلفة غير الإسلام نظرت إلى العقل نظرة خاطئة، وذلك لأنهم نظروا إليه بالنظرة الفاصلة له عن الروح وعن الجسد، فالإغريق مثلا يقولون: إن الإنسان عقل محمول فوق جسد، ففهموا أنه يمكن أن يكون الجهاز العصبي للإنسان معزولاً عن الجسد وأعضاء هذا الجسد ووظيفة كل عضو منها، وأن الجسد يمثل الوعاء الذي لا يمكن أن يعيش الجهاز العصبي للإنسان بمعزل عنه.

ومن هنا يبدو ما في قول المسيحية، من أن الإنسان روح وجسد، يجب أن يكون بينهما خصومة، من اضطراب وتضاد وبُعد عن الطبيعة الإنسانية.

والعلم الحـديث ينظر إلى العقل الإنسـاني على أنه شيء وهمي، أو افتراضي، والنمو العقلي يمكن تحديـده ببساطة على أنه الزيادة التدريجية في القدرة على مواجهة البيئـة والتكيف لها والسيطرة عليها، وهو يتوقف على نمو المخ والأعصاب. ويطيل علماء النفس في شرح تعقدات الدماغ ودرجات الذكـاء ممـا لا يتسع المجـال لاستـعراضه هنا. ويـظهرون في بحوثهم ونتائجها أن العقل البشري ذو قوة جبارة.

ولا يمكن أن تكون هذه الدقة المـتناهية في الصنع، والدقة المـتناهية في الأداء، والدقة المتناهيـة في التجديد الذاتي عملاً عفـوياً ، كما يقول بذلك الماديون في الشرق والغـرب لأن دقة الصنع على هذا النحو لا تتم عفوياً، وإنما تتم بإرادة عليا. ولسنا ننكر أهمـية الجسد وحاجاته،بل إننا على العكس من ذلك نعد الجسد هو الوعـاء للعقل والروح ولكل ما عدا العقل والروح من جوانب في حياة الإنسان.

وإنمـا نحن ننكر أن يكون الجسـد هو كل شيء على هذا النحـو في حياة الإنسان، وننكر ذلك لأن الإنسان إنسان والحـيوان حيوان، فعند ما نصيـر الإنسان حـيواناً، والحـيوان إنسـاناً، فإننا على هذا النحـو نخطئ تمامـاً، وذلك لأن المقاييس عندمـا تختل عندنا فنصـير الإنسان حـيواناً والحيـوان إنسانا فإننا لابد أن نصل إلى نتـائج خاطئة في بـحثنا العلمي، والمقدمات الخاطئة لا يمكن أن تؤدي إلا إلى نتائج خاطئة.

وإذا كان الإنسان -باعتراف علماء النفس التعليمي أنفسهم- يتكون من عقل وجسد، فلمـاذا لا يكون للعقل حاجاته المستقلة كحـاجات الجسد المستقلة سواء بسواء ؟! ولماذا لا يكون حب المعرفة مطلباً إنسانياً لذاته

بغض النظر عن حاجات الجسد، وما يتصل بها من علاقات اجتماعية ؟! ولكن النظرة الحيوانية الفرويدية الداروينية الصهيونية زرعت في علم النفس التعليمي كما زرعت في فروع علم النفس الأخرى، وغيرها من العلوم. والحق أن العقل الإنساني معجز لا شك في ذلك، وعلامة إعجازه ما وصل إليه من فكر واختراع جعل الإنسان بحق سيد هذه الأرض المقتدر، وجعله بحق كما أراد له ربه يوم خلقه خليفةً له في الأرض، ومن ينكر إعجاز هذا العقل الإنساني فهو مغالط لنفسه. ومنذ أربعة عشر قرناً من الزمان نزلت آيات القرآن الكريم ترشد وتشيد بالعقل الإنساني، ولأول مرة في تاريخ الديانات الكتابية. وجعلت آيات القرآن العقل الإنساني سبيل الإنسان إلى الهدى والتقوى والإيمان.

وهذا الذي جاء في آيات القرآن من الإشادة بالعقل الإنساني وإعجازه جاءت الحضارة الحديثة فأثبتته وأكدت أن عقل الإنسان هو معجزة الله الكبرى فيه، فبهذا العقل استطاع الإنسان المعاصر بالفعل أن يصنع المعجزات، فيقتحم الأرض والبحر والسماء، ويصل إلى أجواء الفضاء، ويدرس الكون ويقف على أسراره.

فهذا العقل الإنساني الذي صنع كل هذه المعجزات عقل حيواني ولكنه أكثر تعقيداً كما يقول بذلك العلم الحديث أم أنه أكبر من ذلك بكثير ؟ والعلم الحديث بكل أدواته ومعداته لا زال عاجزاً عن الوصول إلى حقيقة هذا العقل بعد. ومن ثم فهذا العقل المعجز أكثر إعجازاً إذا وضع في موضعه الصحيح كجزء من كيان إنساني، متصل بأجزاء أخرى من هذا الكيان يتفاعل معها وتتفاعل معه. وسيكون أكثر إعجازاً حين

يعرف قدره ويلزم حدوده فلا يغتر بما أوتي من إمكانات، وما صنع من معجزات، ويتجرأ ويتبجح ويتطاول حتى على الله. إن العقل بطبيعته طريق الإنسان إلى الله كما سترى في نظرة الإسلام للعقل.

والغرور عندما يركب فرداً أو جماعة إنما يوردها موارد التهلكة وكذلك العقل الإنساني يورده كذلك موارد التهلكة.

وهل أودى ببني إسرائيل عبر تاريخهم الطويل سوى هذا العقل الذي قلبوا به الحق باطلاً، والباطل حقاً، فاستحقوا لعنة الله أينما حلوا، ولم يحصد مجتمع من المجتمعات خيراً من وراء إكرامهم، بل وجدوا الخير كل الخير في ملاحقتهم واضطهادهم.

وبهذا العقل المغرور نفسه تصدوا للمسيح عليه السلام محاولين قتله لكن الله كان لهم بالمرصاد، وبنفس العقل المغرور قتلوا يحيى وزكريا وغيرهما من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم؛ قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

وبهذا العقل المغرور كذلك حاولوا مع رسالة الإسلام، فلما فشلوا في الإجهاز عليها حاولوا التسلل إليها من الداخل من خلال دسّ الحديث المكذوب، غير أن علماء المسلمين كانوا أمهر منهم وأسرع حركة، فقد تصدوا لهم ولغيرهم وأخذوا يطهرون تفسير القرآن الكريم من الإسرائيليات، ووضعوا شروطاً وقوانين وضوابط لحماية السنة من دخن الإسرائيليات والأكاذيب والوضع، فحموا بذلك الكتاب والسنة والفكر الإسلامي كله من دنس هؤلاء وأشياعهم.

وبدلاً من أن يستعمل بنو إسرائيل هذا العقل في الوصول إلى الحقيقة ومناصرتها، استعملوه في إبعاد الناس عن الحقيقة ليظلوا ذيولاً لهم، لأن بينهم وبين الحقيقة خصومة منذ بدايتهم.

ومن خلال بني إسرائيل تسلل هذا الغرور العقلي إلى العقل العلمي في أوربا، فبدأ هذا العقل يتجرأ على الله وينكر وجوده، لأن الكون في نظر الغرب منتظم بصورة لا تستدعي وجود هذا الإله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - وإذا كان هناك إله فأين هو؟!

لقد وصل علماء الغرب من خلال العقل وبوسائل العلم إلى كل مجهول في هذا الكون، وصلوا إلى الميكروبات، وفجروا الذرة واقتحموا مجاهل الفضاء، ومكنون الأرض، وأعماق المحيطات، ولو كان الله في نظرهم موجوداً لرأوه! هذه نظرتهم الخاطئة، ونسوا أو تناسوا أن للعقل البشري حدوداً.

وتناسوا أن هذا العقل البشري معجز متى ما عرف حدوده ولم يتعدها، وأن هذا العقل حين يتعدى حدوده إنما يدمر نفسه بنفسه.

فالعقل البشري الذي لا يؤمن إلا بالمحسوسات ضعيف جداً لأن الله الذي خلقه جعل له حدوداً لا يستطيع تجاوزها فحينما يحاول اقتحامها دون دليل من الله ورسالاته يكون تائهاً فلا يملك سوى الإنكار فهذا هو مرض العقل البشري المعجز اليوم لا في قضية الألوهية وحدها بل في كل قضية لا يستطيع أن يتحسسها بنفسه أو من خلال آلة من الآلات التي اخترعها هو. ومن أجل هذا المرض وهذا الوهن أنكر العقل الغربي الله، وأنكر الروح، وأنكر البعث والملائكة والشياطين والحق... فارتد هذا

العقل المعجز المادي البحث، إلى عقل طفل صغير ساذج! .

والمأساة كل المأساة أن يكون الممسك بزمام الحضارة ليس له من العقل سوى عقل طفل. وما أودى بالحضارات السابقة سوى الغرور العقلي الذي حول الكبار إلى صغار ثم دفعهم الغرور إلى الهلاك والفناء ومن النعيم إلى الجحيم ومن الحضارة والبناء إلى الهدم؛ قال تعالى: **﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [يونس: ٢٤].

وهكذا رأينا نظرة غير الإسلام للعقل وبينا فسادها ، فما هي نظرة الإسلام؟[(٤٦)].

نظرة الإسلام للعقل:

رأينا في نظرة بقية الديانات والمذاهب للعقل كيف أنهم انقسموا إلى فريقين قديماً وحديثاً:

أ - فريق اهتم بالجانب البدني وهو مكان العقل (المخ) وهو الجانب الذي نال الأهمية العظمى في نظرتهم حتى إنهم ألهوه وعبدوه وفصلوا بينه وبين الروح والجسد.

ب- قسم أو فريق آخر جعل هذا العقل محل سخرية وسذاجة واستهزاء وقالوا: إنه ليست له أية أهمية تذكر فهو في حد من البلادة وفضلوا عليه جانب الروح والبدن وممن صنع هذا النصرانية قديماً وحديثاً،

وما ذلك إلا لمعرفتهم أن العقل السليم إن فكر فيما يمليه عليه الكهنة واللاهوتيون والأحبار سيجده جملة من الأكاذيب والمخترعات البشرية التي لا صلة لها بالتشريع الإلهي، وفعلاً وقع أصحاب هذا المذهب فيما يخشونه في عصر النهضة العلمية في أوربا مما أدى إلى هجران الكنيسة ورميها بالخرافة واتجاه كثير ممن كان على دينها إلى مذهب الإلحاد وإلى الجانب المادي العلمي العقلي فراراً من أكاذيب وضلالات الكنيسة.

هذه نظرة الأفكار والديانات غير الإسلام للعقل، فهلم بنا في هذه الوريقات نتأمل نظرة الإسلام في وضوح واختصار.

الإسلام تشريع من الله خالق البشر وخالق العقول والعالم بما يصلحه. فقد أنزل الله في كتابه ما يصلح العقل ويرشد المؤمن ويدله إلى كيفية استخدام هذا العقل المعجز استخداماً صحيحاً يصلحه في دنياه وأخراه. فكيف أرشدنا الله إلى ذلك ؟ وكيف كرم الإنسان بمنحة العقل؟

لقد كرم الله الإنسان تكريماً لا مثيل له، وذلك بمنحه العقل الذي يدرك به الأشياء، ويميز به الأمور، ويزين به الأعمال، ويفرق بين الحسن والقبيح، فيرشده إلى الخير، ويبعده عن الشر، ويكون مع صاحبه مرشداً ومعيناً ليفكر فيما حوله، ويكون إرادة مستقلة، ليختار الطريق المناسب، ويتعلم كنه الأشياء، ويتعرف على حقائق الأمور، ويطلع على جوهر الموجودات وخصائصها ويكشف أسرار الكون، ويعرف نفسه، ووظيفته نحو جسده ونحو مجتمعه، ونحو ربه، وأهم من كل ذلك ليعرف الإنسان ربه بعقله، ويفهم كلامه الذي يوصل إلى نعيمه

وتصديق رسله، والعقل منحة إلهية عظيمة، وهو أسمى شيء في الإنسان، وأبرز ميزة تميزه عن غيره، وأجمل صفة تفضله على سواه.

وقد قيل: لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان عقله، وجوهر العقل التوفيق، وما تزين أحد بزينة كالعقل ولا لبس ثوباً أجمل من العلم، لأنه ما عرف الله إلا بالعقل ولا أطيع إلا بالعلم.

وقال عروة بن الزبير: ما أعطي العباد في الدنيا أفضل من العقل، وما أعطوا في الآخرة أفضل من رضوان الله عز وجل.

فالعقل هو الأداة الكبرى للمعرفة، ويتفرع عنه التفكير والإرادة والاختيار وكسب العلوم، لذلك كان الإنسان مسؤولاً عما يصدر عنه قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وعَدّ القرآن الكريم الإنسان الذي يعطل عقله وحواسه كالأنعام، بل هم أضل من الحيوان لأن لديه وسائل المعرفة، لكنه عطلها عما خلقت له قال تعالى: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾[آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

وعَدّ الإسلام العقل من المصالح الضرورية للإنسان فشرع أحكاماً للحفاظ عليه، ودعا إلى الصحة الكاملة للجسم السليم، وحرم الإسلام الخمر وجميع المسكرات التي تزيل العقل وتلغي وجوده، وتؤثر عليه، وتفقد الوعي والإدراك، وتدفعه للتصرف المشين الذي ينأى عنه السفيه والطفل الصغير، وشرع الإسلام العقوبة لمن يتناول هذه المشروبات الضارة، لأن الحفاظ على العقل مصلحة ضرورية ومقصودة للإنسان وإذا فقدها فقد أعز ما يملك. وقال تعالى مبيناً تحريم الخمر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩٠، ٩١].

وقال تعالى مبيناً تحريم جميع ما هو خبيث: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧].

وقال مبيناً تحريم ما يضر بالنفس والجسد من جميع الجوانب: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى محرماً قتل النفس والاعتداء على الجسد بانتحار أو شرب

مـا يؤدي إلى إفسـاد النفس أو إتلافهـا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

ويقول الـرسول ﷺ مبـيناً تحريم قـتل النفس بأية وسيلـة كانت، والأمر منه ﷺ بالمحافظة على الجسم وعدم إزهاق النفس لأي سبب. قال ﷺ: «من تردى من جـبل فقتل نفـسه فهو في نار جـهنم يتردى فيها خالداً مـخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفـسه فسمه في يده يتحـساه في نار جهنم خـالداً مخلداً فيهـا أبداً، ومن قتل نفســه بحديدة فـحديدته في يده يجـأ بهـا في بطنه في نار جـهنم خالداً مـخلداً فـيهـا أبداً»[٤٧].

وفي تحريم قتل النفس أيضـاً يقول الرسول ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فـحز بها يده. فما رقأ الدم حتى مات، قال تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة»[٤٨].

وفي بيان تحريم إفساد العقل بالخمر يروي لنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهمـا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على منـبر رسول الله ﷺ بعد حمد الله والثناء عليه: أما بعد: ألا وإن الخمر نزل تحريمها يوم نزل وهي من خـمسـة أشيـاء: من الحنطة، والشـعـيـر، والتمـر، والزبيب، والعـسل. والخمر مـا خامر العـقل. وثلاثة أشيـاء وددت أيها الناس أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيها: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا[٤٩].

وبناء على هذه الأضرار حارب الإسلام التقليد الأعمى ونفَّر منه، واستهزأ من فاعله، وذم أهل الجاهلية لاعتماد عقيدتهم وحياتهم على التقليد والتمسك به مع إلغاء العقل وطمس التفكير. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾[المائدة: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ، بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ، وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ، فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[الزخرف: ٢١ – ٢٥].

إلى غير ذلك من الآيات التي تذم التقليد. وقد قال الرسول ﷺ: « لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»(٥٠).

وهكذا فالإسلام يحفظ العقل ويكرمه ويوجهه الوجهة الصحيحة التي إن سار عليها اهتدى إلى السبيل القويم إذا لم تقف العوائق أمامه من تقليد أو سكر أو مرض أو جنون، ولذا رفع القلم والتكليف عمن لم

يكتمل عقله إما لصغر أو جنون أو نوم، فقال الرسول ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل»(٥١).

ومن مظاهر تكريم العقل عند الإنسان في الإسلام ما يلي:

١- إن التفسير الديني الصحيح للإنسان والكون والحياة وما وراء الحياة، هو في حد ذاته تكريم للعقل الإنساني لإطلاق العنان له في الاتجاه الصحيح، وإبعاده عن السخافات والأوهان والخرافات والأساطير التي تتسرب إليه من جراء تفسير المغيبات وما أكثر هذه الأفكار في القديم والحديث. والتاريخ البشري والمذاهب الفكرية، كمن يظن أن الأرض على قرن ثور، ومن ينسب تنظيم الكون إلى الطبيعة الصماء العاجزة عن إيجاد نفسها، ومن يقول بالصدفة في أعظم أنظمة الكون ويرفضها في أصغر تصرفاته. ويظهر هذا التكريم للعقل الإنساني في تقديس القوة الخالقة المبدعة، وحصر العبودية والخضوع لها، وإبعاد الناس عن عبادة الأصنام والأحجار والأشجار والبقر والطواغيت من البشر، فالإسلام يزود العقل بالعقيدة الصحيحة، والتصور الرشيد عن الخالق والكون والإنسان والحياة، فينزه العقل عن الخضوع لهذه الكائنات المخلوقة، والمعدة لخدمة الإنسان وتسخيره. ويظهر أثر هذا التكريم للإنسان بما يكسبه من العزة التي تنتج من عزته بالله والإيمان به قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨]. وقال رسول الله ﷺ في دعائه: «اللهم إني أعوذ من الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، ومن الفقر إلا إليك»(٥٢).

وقال عمر بن الخطاب: رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله».

٢- دعوة العقل إلى التفكير والبحث والتأمل في الكون وسر دقائقه، وكشف أسراره، والاستفادة من خيراته والتمتع بطيباته.

وقد تعددت الآيات القرآنية صراحة وإشارة في مخاطبة العقل حتى بلغت (٨١) «آية» ، دعته إلى التفكير والنظر في السموات والأرض، وجعل التفكير فريضة إسلامية. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] وقال: ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يونس: ١٠١].

وجعل القرآن العقل أساساً للنجاة من النار والفوز بالجنة قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك: ١٠، ١١] ففريضة التفكير في القرآن تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الفاهم، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضاً مقتضباً، بل يذكره مقصوداً مفصلاً، على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان ولا فلسفة من الفلسفات ولا نظرية من النظريات فالإسلام وحيد قائم بهذا وحده.

٣- الدعوة إلى العلم: نتيجة للبحث والتفكير ووجوب النظر وإعمال الحواس ينتج العلم الذي دعا إليه الإسلام بأوسع أبوابه نظرياً وعملياً. والآيات كثيرة في فضل العلم ومنزلة العلماء مع الحث على العلم والأخذ به وبأسبابه ووسائله. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١١].

وقال: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٩] وأول آيات القرآن نزولاً كانت داعية إلى القراءة والعلم، قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١-٥] ويقول الرسول ﷺ مبيناً فضل العلم والعلماء «من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقا إلى الجنة»(٥٣) وقال: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالماً أو متعلما»(٥٤). وقال: «من سلك طريقا يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما صنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(٥٥).

وهذا الحث وإظهار فضل العلم في الإسلام هو الذي جعل المسلمين ينتجون إنتاجاً علمياً وعملياً وتاريخياً وأمة عالمة وحضارة باسقة، وتراثاً زاخراً.

فالإسلام أعطى حرية التفكير، وفتح جميع المجالات العلمية التي يستطيع العقل البشري أن يصل إليها، فانفتح المسلمون على الأمم الأخرى، والحضارات السابقة واستفادوا منها، وترجموا العلوم إلى العربية، وشاركوا في جميع مجالات الحياة العلمية، لكن الإسلام لم يترك العقل يبحث في الغيبيات وأمور الآخرة، لأن البحث العقلي فيهما عبث ومُحال وضياع، ولن يصل إلى نتيجة إلا بالتخيلات التي لا تنفع ولا تجدي شيئاً بخلاف النظر في الكون وما فيه، فإنه يؤدي إلى فائدتين:

الأولى: العلم والمعرفة والاستفادة الدنيوية.

الثانية: معرفة الخالق وعظمته وإقامة العقيدة والإيمان على أسس راسخة، وأدلة واقعية وبحث تحليلي.

٤- ربط التكليف بالعقل: وتظهر رعاية الإسلام للعقل البشري بأنه ربط التكليف في الأحكام الشرعية بالعقل وجعل البلوغ علامة وأمارة على الحد الكافي في هذا الخصوص وأناط المسؤولية بالفعل فقط، فلا يسأل الصغير، والمجنون والمعتوه، لعدم العقل الكامل عندهم، ولا يخاطب الإنسان إلا بعد ظهور العقل ونضجه، ولا تطلب منه الأحكام إلا في حالة وجود الوعي والعقل، وأراد الإسلام أن يحافظ على نعمة العقل، فأباح كل ما ينمي العقل ويشحذه ويصقله وحرم

كل ما يؤذي العـقل، أو ينقصه، أو يؤثر عليـه أو يذهبه، أو يعطله عن العمل، كالمـسكرات، وجعل الإسلام حفظ العقل من مـقاصد الشريـعة الخمـسة وبوأه مكانة الضـروريات التي لا يمكن أن تسـير الحياة بدونها كما سبق بيانه.

هذه هي نظرة الإسلام للعـقل وتكريم الإسلام للعقل الإنسـاني فهل تستوي هذه النظرة مع نظرة غير الإسلام من الديانات والمذاهب؟!

ب- تكريم الإنسان بالدين.

معنى الدين:

ورد لفظ الدين في المعاجم العربية دالاً على عدة معانٍ منها:

الجـزاء ومن ذلك قـوله تعـالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[الفـاتحـة: ٤] والمعنى: يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

ومنها الحكم والسلطان ومنه قـوله تعالى: ﴿**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: ٧٦]. أي في حكمه وسلطانه.

ومنها: العـادة والشأن، ومنـها الطاعـة والانقـياد يقـال: دان له ديناً وديانة: أي خـضع وذل وأطاع، ويـطلق الدين ويراد منه مـا يـتـدين به الإنسان، يقال: دان بكذا: أي اتخذه دينا وتعبد به[٥٦].

أما تعـريف الدين في الاصطلاح، فإن بعض علمـاء الأديان لا يطلق الدين إلا على الأديان السماوية كـالمسيحية واليـهودية والإسلام، وبعض العلماء يرون أن الدين هو عبارة عن الإيمان والعبادة مهما كانا، فالوثنيون

دينهم دين وإن كان باطلاً لا يمت إلى الله بصلة، ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥] وقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] وهذا المعنى هو الصحيح لأنه يشمل الأديان كلها سماويةً كانت أم أرضيةً[٥٧].

موقف غير الإسلام من الدين:

إن ظاهرة التدين وجدت في المجتمعات الإنسانية منذ أول الوجود الإنساني، وبقي إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسبب وجود الدين مهما كان صحيحاً أو فاسداً هو أن كل إنسان مهما قوي عقله وسما فكره يجد من نفسه أنه مقهور من قوة أرفع من قوته وأنه محكوم بإرادته، تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه قد لا تدركها معرفة العارفين، ولا تتطرق إليها إرادة المختارين، فكل نفس تحس بأنها مضطرة لإدارك تلك القوة العظمى، فتطلبها بحسها مرة وبعقلها مرة أخرى، فمنهم من فسرها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها أو شدة ضررها، ومنهم من ظن أنها بعض الكواكب لظهور أثرها، ومنهم من توهمها أشجاراً وأحجاراً لاعتبارات رآها فيها، وغير ذلك من المعتقدات.

فجعلوا كل تلك الأنواع آلهة لاعتبارات رأوها بمنظار خاص. والناس متفقون في الإذعان لما فاق قدراتهم واستطاعتهم، ولكنهم اختلفوا في فهم ما تلجئهم الفطرة إلى الإذعان له اختلافاً كان أشد أثراً في التقاطع

بينهم وإثارة الشقاق فيهم مع اختلافهم في فهم النافع والضار لسيطرة الشهوات عليهم.

فالعقول حينما تبحث عن الحقيقة دون أن يكون لها مدد من الله لا يمكن أن تتفق على أمر واحد تؤمن به وتخضع له وإنما تتشعب بها السبل فإذا هي مختلفة في ذلك اختلافاً كبيراً ، وحتى العقول السديدة التي اهتدت للخالق بفطرها لم تستطع التوصل إلى الاستقلال التام بمعرفة كل ما يتصل بالخالق وما غيبه عن تلك العقول من أحوال الآخرة، وكذلك لا تستطيع العقول معرفة الخير والشر، وما يجب أن يلتزم به الإنسان في حياته الدنيا من عبادات ومعتقدات ومعاملات وأخلاق. . . ولذلك اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يرسل إلى الناس الرسل مبشرين ومنذرين ليدعوا الناس إلى الدين الحق والطريق المستقيم.

فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم العقول الهادية التي لا تضل والواعية التي لا تغفل، لأن الله أعدهم وهيأهم لتخليص البشر من الأباطيل والأوهام والشرور والآثام، وهدايتهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم.

والناس في القديم والحديث نراهم انقسموا إلى أقسام عدة بالنسبة للالتزام بالدين الذي بعثت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وهذه الأقسام هي:

أولاً: منهم من اتخذ الدين سبيله في الحياة لا يتعداه ولا يميل عنه، بل آمن به واتخذه منهجاً فسعد دنيا وأخرى.

ثانياً: منهم من اتخذ الدين غير أنه انحرف عنه في سلوكه في الظاهر

والباطن وبارز الله بعصيانه غير مبال بعاقبته فعرض نفسه لسخط الله وعقابه فشقي دنيا وأخرى.

ثالثاً: من اتخذ طابع النفاق له ديدناً وجعل الدين شعاراً زائفاً يموه به على الناس ويخدعهم به، لكن ذلك لا ينطلي على الله تعالى الخالق العالم بما تكنه الصدور.

وهذه الأصناف الثلاثة معروفة قديماً وحديثاً فالناس: إما مؤمن وإما كافر، وبينهما صنف المنافقين وهؤلاء ضعاف النفوس وأصحاب الشخصيات الذائبة التي لا تستقل باتباع جانب معين ومعروف.

رابعاً: بعض الناس جحد الأديان كلها وادعى أنها جميعاً أوهام وأباطيل استحدثها الناس، وهي طارئة على البشرية، وزعموا أن الإنسانية لا بد أن تكون قد عاشت قروناً طويلةً في حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة والنجارة، قبل تفكيرها في الديانات والروحانيات، بل قال بعضهم: إن فكرة التأليه إنما اخترعها دهاة ماكرون من القساوسة والكهنة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والمغفلين.

خامساً: من هذا الصنف - المادي - من لم يستطع إنكار أن هناك ديانات عريقة قديماً، غير أنهم زعموا أنها شاخت بمرور الزمن ولم تعد صالحة في وقت بلغت فيه البشرية مبلغاً كبيراً من التقدم العلمي والرقي الحضاري.

وهذه الأصناف الخمسة هي مجمل نظرة المنتمين للمذاهب المختلفة غير الإسلام للدين فالقدماء وإن كان فيهم من نادى بجحد الأديان إلا

أنهم قلة بالنسبة لمن اعـتنقوا الأديان ورضوا بها سواء كانت صـحيحة أو فاسدة. حتى الغربيون المحـدثون الذين ينادون بالمذهبين الأخيرين وهما جحـدان الدين أو عدم صـلاحيـته للحيـاة المعـاصرة هم في الحـقيـقة باعتقادهم هذا مدينون بشيء ما، فـمن جحد الدين يحس في قرارة نفسه إلى حاجته لإله يصرف أحواله فكان أن عبد المادة واتخذها إلهاً، والذين ينادون بعدم صلاحـية الدين للعصر الحديـث لا بد وأن لديهم تشريعات وقوانيـن وأنظمة بديلة للدين الذي ادعـوا أنه لا يصلح للنهـضة الحـديثة فكان أن شرّعوا قـوانين وأنظمة يسيـرون عليها، فهذه الأنظـمة في قرارة نفـسهـا هي دين، فإن الله سـمى خرافـات وادعاءات الكفـار ديناً فقـال تعالى: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: ٦] وقال: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾[الشورى: ٢١].

إلى غير ذلك من الأدلة التي تبين أن كل شيء ارتضاه الإنسان واتخذه منهجاً للحياة فإنه يسمى ديناً(٥٨).

الإسلام أكرم الإنسان بتشريع الدين:

لقـد كرم الله الإنسـان بإرسال الرسل إليـه، وإنزال الكتب السمـاوية عليه، وكـانت رسالة الإسلام آخر الرسـالات وكان سيدنا مـحمد ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين والقرآن الكريم آخر الكتب السماوية المنزلة، وقد ظهر في تشريع الأحكام في الإسلام مكانة الإنسان، فالله سبحانه وتعالى كرم الإنسان قبل خلقه بالإخبار عنـه، وإعلان البشارة بخلقه، وكرمه عند خلقه فصوره في أحسن تقويم، وكرمه في تشريع الأحكام التي أنزلها من أجله، وأراده أن يكون في كل حكم مكرماً وعزيزاً، فـلا يذل لغير الله،

ولا يخضع في حكم تشريعي إلا لمرضـاة الله دون أن ينتقص من كرامته وقيمته ومكانته، حتى الأحكام التي تصدر من الحاكم المسلم في رعاية المصالح إنما يطبقهـا المسلم لأن الله تعالى أمره بطاعة أولي الأمر، وأن تلك الأحكام ترجع في مآلها إلى تحقيق مقاصد الشرع.

وهذا التكريم في تشـريع الأحكام باب واسع يغطـي جمـيع الأحكام الشرعية، ويدفع لمعرفة العلة فيها والحكمة من تشريعها، لذلك سأكتفي بضرب بعض الأمثلة الآتية لبيان هذا التكريم.

أ - الأحكام التشريعية فيها تكريم الإنسان:

خلقَ الله الإنسـان بيده، ونفخ فـيه من روحـه، ثم فطر فيه الـتوالد الذاتي، وحـدد طريق التناسل بالـزواج الذي أحاطه الـشرع بسـيـاج من القدسية والرعاية والعناية والاحترام، مع مـراعاة الطبيعة البشرية، والفطرة الإنسانيـة والغريزة الجنسـية، فـجاء تشـريع الزواج ظاهرة تكريم لتنظيم جانب من الفطرة البشرية، وهو ما يميز الإنسان عن الحيوان الذي يشترك معـه في هذه الغـريزة، ويسمـو به الإنسان المـتسـفل أو المتـوحش أو الفوضوي.

كما شـرع الإسلام الروابط السامية في العـلاقات بين الزوجين، وبين الحقـوق المشتركـة بينهما لتـأمين رعاية النسل وحفظ العـرض، وصرح القـرآن الكريم أن الله جعل الزواج مـودة وسكناً للزوجـين اللذين ارتبطا برباط مقـدس، ليتـعاونا في الحيـاة على السراء والضـراء، وأوصى كلاً منهما بالآخر رعاية وعناية، واحـتراماً وتقديراً، ومن هذا المنطلق الإلهي حـرم الإسـلام أنواع الأنكحـة في الجـاهليـة، وحـرم الزنا الذي ينحط

بالإنسان إلى الحضيض، ويعرض النسب والعرض للضياع والاعتداء، ويحصر العلاقة بين الرجل والمرأة بقضاء الوطر، ولذلك نرى أيضاً أن نظرية دارون التي تجعل أصل الإنسان قرداً تمس الكرامة الإنسانية، وتلحق بها المهانة والذلة.

ب - حقوق الأولاد:

إذا جاء المولود بعد الزواج فقد شرع له الإسلام ما يضمن تكريمه بالاحتفاء به، وشكر الله على نعمه وخلقه، وطلب من الأبوين اختيار الاسم المناسب، وكلفهما بالرعاية الكاملة والعناية التامة، وأناط بهما القيام بعبء تربيته وإعداده قال تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾[النساء: ١١].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن»[٥٩].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لأن يؤدب أحدكم ولده خير من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين»[٦٠].

جـ - المعاملات المالية والمدنية:

تتألق الكرامة الإنسانية في السمو عند تشريع أحكام المعاملات المدنية، لتلبي حاجات الإنسان، وتنظم حاجات المجتمع والعلاقة بين

الأطراف، وتقيم العدالة والتوازن، وتبعد الناس عن الخلاف والعداوة والبغضاء، وترشد إلى الحق في التعاقد وإلى التوازن في الالتزامات، وهذا يشمل الحكمة التشريعية في جميع أبواب الفقه، وأن ما من حكم إلا وشرع لمصلحة الإنسان ونكتفي بذكر مثالين:

الأول: كتابة المداينة التي أرشد القرآن الكريم إليها وأمر بالإشهاد عليها، وبين الحكمة والغاية من ذلك فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا** ﴾ ثم قال: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ** ﴾ ثم بين سبحانه الحكمة والغاية من ذلك فقال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والمثال الثاني: أن الله تعالى حرم الغش والاعتداء على أموال الآخرين، واغتصاب حقوقهم، لأن ذلك يخل بالكرامة السامية للطرفين فقال تعالى: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٨] **وقال:** ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا»[٦١].

د. الجرائم الممنوعة والعقوبات المشروعة:

لقد حرص المشـرع الحكيم في باب الجنايات على التكريم الإنساني وراعى الكرامـة الفـردية، وحق المـجـتمع العـام، فنص على الأشـيـاء الممنوعة والمحرمة، وحذر منها، ورهب من ارتكابها ، وصرح بضررها وفسادها، فـإن حصل الخلل ووقع الخطأ أو العدوان والإثم شـرع العقاب المناسب والعادل للجريمـة والمجرم، بما لا يمس كرامة الإنـسان، فشرع القصاص مثلاً، وحرم المثلة والتنكيل بالمـجرم فقال تعالى محدداً الهدف والغاية من تشريع القصاص : ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٩].

هـ. الأخلاق الفاضلة:

تظهـر كرامـة الإنسـان، والدعـوة إلى تكريمـه بدعوة الإسـلام إلى الأخلاق الفاضـلة وتوجيه الفرد والمـجتمع إلى معالـي الأمور والارتباط على الخيـر والفضل بين الناس والتـسامي عن المـادة وصغائر الأشـياء. لذلك وصف القرآن الكريم نبيه بأعلى أوسمة الفخر فقال تعالى ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(٦٢).

ودعا الإسلام إلى البـر والرحمة وإلى الإخاء والمـودة، وإلى التعاون والوفاق، وإلى الصـدق، والصدقـة والإحسان وإلى الوفـاء وأداء الأمانة، وإلى سـلامة الـقلب، وتخليـصه من الشـوائب، كـما دعـا إلى العـدل والمسامحة، والصفح والعفو والمغفرة والإنابة والتوبة، والصبر والثبات، كـمـا دعـا إلى الأمـر بالمـعـروف والنهي عن المنكـر، وحث على

النصيحة، وأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يكون معه دوماً، ولم يضع الإسلام حدوداً لهذه القيم في الشمول والتطبيق، لتعم البشر جميعاً على اختلاف أحوالهم وتسابقهم في الخيرات، والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفي بطرف منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠]. وقال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٦٣] وقال عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٦٤].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في

حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[٦٥].

بهذه التوجيهات الدينية يسمو الإنسان، ويرتفع إلى المستوى الرفيع ويكون مكرماً في نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته كما أراده الله تعالى.

وهكذا فإن الإسلام ينظر للدين على أنه تكريم وليس إهانة ولا تكليفاً بما لا يطاق، ولا التسلط على العباد، فشرع الدين أمر باتباع الدين والانقياد له هو الله خالق العباد والعالم بما يصلح شؤونهم وأحوالهم في المعيشة والعبادة وجميع أمورهم الدنيوية والأخروية، فاستحق الإسلام بحق أن يكون خاتمة الأديان والرسالات وذلك لصلاحيته لجميع الأزمنة والأمكنة وطبقات البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الثاني: النظرة إلى الإنسان من حيث مسؤوليته:

تعريف المسؤولية:

اسم المفعول من الفعل سأل، وهو الاستعلام عن الشيء والمطالبة به. تقول: سأل يسأل سؤالاً وسآلة ومسألة وتسآلا وسألة أي: طلب واستدعى.

والمسؤول: كما سبق اسم مفعول، ومنه في سورة الإسراء ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٤] أي مطلوباً من العاهد أن لا يضيعه ويفي به، أي مسؤولاً عنه، أي يسأل الناكث ويعاقب عليه، ومنه المسؤولية عند أرباب السياسة والأعمال التي يكون بها الإنسان مطالباً[٦٦].

والمسؤولية في نظر الإسلام تختلف عنها في نظرة المذاهب المختلفة التي ترى أن الشخص مسؤول، لكن المسؤولية هذه ليست هي المسؤولية التي حملها الله للإنسان والتي سوف يطالب بها يوم يلقاه، بل إن المسؤولية في نظر هذه المذاهب هي مسؤولية الإنسان أمام نفسه وضميره، وليس لإرضاء الله الذي حمله إياها بل إنه يرى أنه هو الذي ألزم نفسه بهذه المسؤولية وليس هذا التكليف خارجاً عن اختياره وطوعه وإرادته لذلك تجدهم يبذلون جهودهم في تربية الضمير على ما يرونه ويناسبهم من نزعات أخلاقية نابعة من نزعاتهم وأفكارهم البحتة التي قد تصيب، وكثيراً ما تخطئ، إذ جانب القيم والأخلاق يخضع لقوانين ومعايير لا يدركها الفكر البشري الذي لم يسعفه الوحي في إدراكها.

كما تنظر بعض المذاهب إلى أن مسؤولية الإنسان هي أمام أمته، وتعمل لتحقيق ذلك على تربية الشعور بالمسؤولية أمام الأفراد والجماعات، وتعويد النشء والأجيال على الاهتمام والاعتناء بهذه المسؤولية والالتزام التام والكامل بها.

ومما ذهبت إليه بعض هذه المذاهب في فكرة المسؤولية أن قالت النصرانية: إن الإنسان مخلوق تلازمه الخطيئة وإن كرامته مسلوبة منه، فجعلته مسؤولاً عن خطيئة غيره، ولا يخفى أن هذه النظرة تصادم المنطق، متنافية مع الحق والعدل، فكيف يصح أن يورث آدم عليه السلام ذريته خطيئة أكله من الشجرة التي نهاه الله عن أكلها؟

وكيف يستقيم لذوي العقول السديدة الاعتقاد الذي زعمته النصرانية من أن الله قد كفّر بصلب المسيح عليه السلام - تعالى الله عما يفترونه

عليه علواً كبيراً- خطيئة آدم، مع أن المسيح عليه السلام لم يشارك آدم في خطيئته تلك. ولم يكسب خطيئة أخرى كتلك الخطيئة التي اكتسبها آدم فيكون مستحقاً للعقوبة المزعومة، وأنه كان عليه السلام فداء للبشر من هذه الخطيئة ووزرها.

ومن هذا الواقع الذي تحدثه عقيدة الخطيئة لدى النصارى أوجدت تلك العقيدة القلق النفسي لدى أتباعها وجعلتهم أشقياء لأن تلك الفكرة تسمم الحياة كلها ، ورفعها عن الناس منة ورحمة عظيمة بمثابة نفحة جديدة من الحياة أو هو ولادة جديدة للإنسانية، وتمزيق لصحيفة سوابقهم ووضع زمام كل إنسان بيده.

تلك هي أهم نظرات الأديان والمذاهب المختلفة للمسؤولية وكيف يرى الإسلام أنها إما ناقصة أو باطلة.

أما نظرة الإسلام للإنسان من حيث مسؤوليته فإن الإسلام قد ارتفع بالإنسان من عقائد الكهنة والوساطة وألغاز المحاريب إلى عقائد الرشد والهداية فجعل الإنسان الكائن المكلف المسؤول عن عمله فرداً وجماعةً، لا يؤخذ إنسان بوزر آخر، ولا أمة بوزر أمة قال تعالى: ﴿**كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ**﴾ [الطور: ٢١].

وقال: ﴿**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ [فاطر: ١٨] غير أن الإنسان ينفرد بين الخلائق بمساوئ لا يوصف بها غيره، لأن السيئة والحسنة لا يوصف بها مخلوق غير مسؤول فهذا المخلوق المسؤول

يوصف دون غيره من الخلائق بالكفر والظلم والطغيان والخسران والفجور والكنود، لأنه دون غيره أهل للإيمان والعدل والرجحان والعفاف والمسؤولية. والإنسان في الإسلام لا يسأل عما يجهل، ولكنه يسأل عما علم وعما وسعه أن يعلم. وما من شيء في عالم الغيب أو الشهادة هو محجوب كله عن علم الإنسان فما وسعه من علم فهو محاسب عليه.

كما أن النظرة الإسلامية تقرر أن المسؤولية هي أمام الله عز وجل، والمسؤولية منوطة بالتكليف الرباني للإنسان بحمل الأمانة وأدائها حق أدائها كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فالأمانة شاملة للقيام بجميع التكاليف والالتزامات التي تلازم الإنسان باعتباره بطبيعة ما أودع الله فيه من العقل والإرادة وجميع الخصائص الإنسانية مؤهلاً لاحتمال الأمانة وأدائها، ولا بد مقابل هذا أن يكون مسؤولاً عن هذا الاحتمال والأداء أمام الله تعالى الذي صيره من بين كل المخلوقات كائناً مكلفاً مسؤولاً، فإذا كانت الأمانة تعنى الاستقامة في كل شيء وأداء الواجبات في كل مجالات الحياة فإن مسؤولية حامل هذه الأمانة كبيرة أمام الله فإن رعاها حق رعايتها كان وافياً أميناً وإلا كان ظالماً لنفسه بتقصيره وتفريطه، ولا بد أن يسأل عن ذلك ويحاسب وينال جزاءه العادل إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وقال: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: ٤٧] والآيات في هذا المقام كثيرة معلومة.

والرسول ﷺ يقول مبيناً هذه المسؤولية: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(٦٧).

فالإسلام يلقي على كل إنسان تبعة أعماله الحسنة أو السيئة بصفته الفردية، بحيث لا يترك له أن يأمل أن أحداً ما سينقذه من تبعة أعماله أو يحمل عنه خطاياه وذنوبه، ولا يستطيع كذلك أن يسلم من وبال جرائمه، كما لا يحمل وزر جرائم غيره وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٢] فكل شخص في الإسلام متفرد بتحمل

العقاب نتيـجة لأعماله الحسنة، مما يلـزم أن يكون لدى الشخص شعور تام بتبعته الفردية، وأنه هو المسـؤول وحده عن كل عمل من أعماله كبر أو صغر.

وايم الله إن هذا لهو العدل بعينه والكرامة في أصلها المبين التي أكرم الله بها هذا الإنسان فجعله خلـيفة في الأرض ومكنه من التصرف وأعطاه أنواعاً من الـسلطة والنفوذ في هذه الحـياة فكان جزاء عـادلاً من الله أن يطالب ويسـتجـوب ويحاسب الإنـسان في الآخـرة على هذه الإمكانات والفرص التي منحه إياها في الدنيا.

وكـان من عـدل الله سـبحـانه أن لا يحـاسب أحـداً إلا على قـدر مسـؤوليته وفي حـدود حريتـه واختيـاره. والمسؤوليـة منوطة بالتكليف الرباني للإنسان بحمل الأمانة والأداء الصحيح لها وتسليمها خالية من أي عذر أو خـيانة، وعلى هذا فـالمسؤولـية تبعـة وتشريف، وإذا مـا سقط التكليف عن الإنسان رفعت عنه المـسؤولية وحينئذ فقـد حكم عليه بعدم الأهلية لحمل هذه الأمانة التي أصبح حـملها شرفاً، ومن نقص فيه شيء من مقومات هذا التشريف لصغـر أو جنون أو فقد وعي بنوم أو غيره فإنه حينئذ يـكون ناقصاً غير مـعبوء به فكأنه ليس في الوجـود، فأي تشريف أعظم من هذا ؟ وأي صلاح للبشـرية ظاهراً وباطناً سراً وعلناً أصلح من هذا؟![٦٨].

الخاتمـــة:

الحـمد لله الذي بكرمـه تتم الصالحـات حمـداً يكافئ نعمـه ويوافي مزيده؛ والصلاة والسلام على نبينا محمـد سيد الشاكرين وإمام الحامدين صلى الله عليـه وعلى آله وصـحابتـه والتـابعين لـهم بإحسـان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أعانني الله سبحانه وتعالى على إتمام بحثي هذا: «خلق الإنسان في الكتاب والسنة - دراسة مقارنة» وقد تناولت فيه النقاط الآتية:

١- النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه وقسمته إلى مطلبين:

أ - النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه الجسدي، وتناولت فيه أصل نشأة الإنسان كما جاءت في الكتاب والسنة.

وتعـرضت فيـه لنظرية النشـوء والارتقاء ونقـدتهـا عقـلاً وشرعـاً، وخلاصة الرد عليها ما يلي:

١- عـدم مشـاهدتنا أي ارتقـاء في أيّ نوع من الأحـيـاء منذ آلاف السنين.

٢- عـدم وجود الـصور المـتـوسطة بين الأنواع اللازمـة لمـذهب التسلسل كـوجود حيوان أرقى من القرد وأدنى مـن الإنسان رتبة واحدة.

٣- طول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الأحياء.

ب- النظرة إلى الإنسان من حيث تكوينه الروحي، وتحدثت فيه عن ماهية الروح والتفـريق بينها وبين النفس، وتوصلت فيه إلـى أن الروح غير النفس، وأن حقيقتها لا يدركها إلا الله تعالى، ثم تحدثت عن الروح في نظر القـدماء، ثم الروح في نظـر علماء العـصر الحـديث ، ثم خـتمت هذا المـبـحث بإيراد مقـارنة بين نظرة الإسـلام إلى مطالب الروح والجسد ونظرة المذاهب الأخرى، ورأيت فيه أن المذاهب غير الإسـلام قد انقـسمـت في نظراتها إلى مطـالب الروح والجسـد في الإنسان إلى فريقين:

الأول: فـريق غلب الجانـب الروحي وجعله هدفـه الأسـمى فأمـات الجسـد في رياضات أهزلتـه، وجعلتـه ضعيـفاً لا يصلح لأي حـياة روحية أو مادية.

الثاني: وفـريق أعطى الجانـب المادي كل اهتـمـامه فـأهمل الروح والدين فانغمس في ملذات البدن مهملاً كل ما فيه رائحة للدين.

ومن هاتين النظرتين تولد الانـتحار والديانات الـغربية وظهـر القلق النفسي والمذاهب الجمة المنحرفة ونشأت أجيال ضعيفة البنية العقلية والجسدية والنفسية.

٢- النظرة إلى الإنـسان من حيث تكريمـه، ومسؤوليـتـه، وقـسمـتـه إلى مطلبين:

أ - النظرة إلى الإنسـان من حيـث تكريمه بالعـقل وبحـثت فيـه نظرة المـذاهب الأخرى إلى العـقل قديمـا وحـديثا، ثم أتبـعتـه بنظرة

الإسلام للعقل، وأنه تكريم من الله للإنسان، إذ وهبه إياه، وفضله به على سائر المخلوقات.

ب - تكريم الإنسان بالدين: تناولت فيه موقف غير المسلمين من الدين أخذاً ورداً، وأنه ليس ثمة إنسان لا يدين بدين إن حقاً وإن باطلاً. ثم بينت أن الإسلام أكرم الإنسان بتشريعه الأحكام والعبادات، لأن عقل الإنسان مهما سما لا يستطيع ابتكار شريعة متكاملة وهذا مجرب ومعروف.

جـ- المسؤولية التي أنيطت بالإنسان كانت موضع تكريم. وقد بينت هناك أن الإنسان الذي قد رفع عنه التكليف لسبب من الأسباب ينقص منه التكريم بقدر ما نقص من أسباب تكليفه.

الهوامـــش:

(١) هو عالم النباتات الرسمي الخاص بملك فرنسا،وكان مدرساً في المتحف الوطني الفرنسي للتاريخ الطبـيعي وأهم مؤلفاته «فلسفة علم الحـيوان» انظر أصل الإنسان لموريس بوكاي.

(٢) هو شارك روبيـرت داروين الإنجليزي الطبـيعي ت: ١٨٨٢م انظر: دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ص ٢٩ ج٤، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص٢٠٩.

(٣) انظر: أصل الإنسان لمـوريس بوكاي ٤٠-٤٨ والإنسان فـي القرآن للعـقاد ص ٨٠-٩٣، والإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب ص١٩-٢٤، والإنسان في الإسلام والإنسان المـعاصر لعبـد الغني عبود ص ٤٥ وما بعدها، والإنسان بين العلم والدين ص١٨٥-١٩٧، والتصـور الإسلامي للكون والحيـاة والإنسان ص ٩٥-٩٧، والإنســان في القـرآن الكريم لعـبد الـكريم الخطيب ص ١٩، مقـال بعنوان: معنـى الإنسان في الفكر المعـاصر ، للدكتـور أحمد إبراهـيم في مجلة الفيصل ص ١٠٧ ومقدمة خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، لمحمد علي البار، والموسوعة الميسرة: ٢١٢-٢١٣.

وانظر مـقالاً بعنوان: الإنـسان قـبل التاريـخ في مجلة المـقـتطف في أبريل سنة ١٨٩٩م، ص٢٦١-٢٦٥. ومقـال «أصل الإنسان» لإليـاس الغضـبان ص٢٢٦-٢٢٩، ومقـال: متى ظهـر الإنسان على الأرض ص ١٤٢-١٤٥. والجمـيع في مجلة المقتطف.

(٤) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري: ١٧-١٨

(٥) دائرة معارف القـرن العشرين: ٣١-٣٦ ج٤، والإنسان ذلك المـجهول: ٣١٢-٣٢٣. والإنسان بين المـادية والإسلام: ٢١-٢٧، والإنسان فـي القرآن: ١٨٦-

١٩٠، والتصـور الإسلامي للـكون والحيـاة والإنسان: ٩٦-٩٧، والموسـوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٢١٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٨ ج ٢٦.

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٣٧ ج ٢٨.

(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٥ ج١.

(٩) غرائب القرآن ورغـائب الفرقان: ١٦٤ ج١ ط١ سنة ١٣٨١هـ. والتفسيـر الكبير: ١٦٠-١٦١ ج ٩، والفـصـل في الملل والنحـل لابن حـزم: ٥٢-٥٣ ج ١ ط١ القاهرة سنة ١٣٨٤هـ، وظلال القرآن: ١٢٧٨ ج٣. وانظر: تفـسير القـرطبي: ٣٣٧ ج ٧.

(١٠) رواه أبو داود في كـتاب الأدب باب "١١١١"، وأحـمد: ٢/ ٣٦١ والترمـذي في كتاب التفسير تفسير سورة (٤٩) وقال : حديث حسن صحيح، ووافقه الألباني.

(١١) رواه أحمـد في المسند: ٢/ ٣١١، وقال الهـيثمي في مجـمع الزوائد: «ورجاله رجال الصـحيح» انظر مـجمع الزوائد: ٢/ ١٦٤ ط ٣ سنة ١٤٠٢هـ دار الكتاب العربي.

(١٢) رواه أحمـد: ٤/ ١٢٧، ١٢٨، وقـال الحافظ الهـيـثمي: ورواه أبـو يعلى وفيـه إسماعيل بن رافع : قال البخاري: ثقة مقـارب الحديث، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد: ٨/ ١٩٧.

(١٣) انظر لسان العرب مادة : «ترب» وكذلك القاموس.

(١٤) انظر لسان العرب مادة : «موه» .

(١٥) انظر لسان العرب مادة : «طون» .

(١٦) انظر لسان العرب مادة : «حمأ».

(١٧) انظر لسان العرب مادة : «صلل ، وفخر».

(١٨) التفسير الكبير للرازي: ١٠٨ ج٢٥.

(١٩) انظر: الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة الإسلامية لحسين محمد الجسر الطرابلسي: ٢٤٤ ط سنة ١٣٥٣هـ.

(٢٠) انظر اللسان والقاموس مادة : «روح».

(٢١) المصباح المنير مادة : «روح».

(٢٢) انظر: المفردات في غريب القرآن: مادة : «روح».

(٢٣) التفسير الكبير للرازي: ١٢٨ ج٢١.

(٢٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٦ ج٣.

(٢٥) انظر البحر المحيط: ٧٥-٧٦ ج٦.

(٢٦) نظرات حول حقيقة الإنسان: ٧٧-٨٥، والقرآن وقضايا الإنسان: ١٨٠-١٨٢.

(٢٧) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، وضع المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي تمادة : «نفس».

(٢٨) زاد المسير في علم التفسير: ٨٢ ج ٥.

(٢٩) الإنسان بين المادية والإسلام: ٢٤-٣١، ومعالم الثقافة الإسلامية: ١٥ والقرآن وقضايا الإنسان: ١٧٩-١٨٠ ، والإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ٩٠-٩١.

(٣٠) الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ٩٠-٩١ والإنسان في القرآن من البداية والنهاية: ٤٥-٥٣.

(٣١) الإنسان في القرآن من البداية والنهاية: ٥٤-٨١، الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ٩٢-٩٩ ، والقرآن وقضايا الإنسان: ١٨٠-١٩٥.

(٣٢) انظر: الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ٩٨-١٠٠، والإنسان في القرآن من البداية والنهاية: ٨١-٩٢، والموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب: ٢٥١-٢٥٣، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٣٣٧-٣٣٨، والقرآن وقضايا الإنسان: ١٩٥-٢٠٤.

(٣٣) الإنسان بين المادية والإسلام: ٨٢-٨٣، والإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ١٠٠-١٠٨، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٤٦-١٦٢.

(٣٤) انظر الإسلام ومشكلات الحضارة: ١٠٩، والإيمان والحياة: ٨٠-٨٢ والإنسان ذلك المجهول: ٣٨-٤٤.

(٣٥) انظر الإيمان والحياة: ٦٢-٦٧، والإنسان والحضارة في العصر الصناعي للدكتور فؤاد زكريا: ١٧٢-١٧٦، والتفسير الإسلامي للتاريخ للدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي: ١٠٦-١١١، ومقال في مجلة الوعي الإسلامي عدد «١٩٠» شوال سنة ١٤٠٠هـ، للأستاذ عبد الفتاح بعنوان «ونفخت فيه من روحي».

(٣٦) رواه البخاري تعليقا إلا أن الحافظ ابن حجر ذكر أنه موصول وإن لم يصله البخاري رحمه الله. انظر فتح الباري: ٢٥٣/١٠، وانظر صحيح البخاري كتاب «اللباس» باب «١» ورواه أيضا النسائي في كتاب «الزكاة» باب «٦٦» وابن ماجه في كتاب «اللباس» باب «٢٣» وأحمد في المسند ٢/ ١٨١-١٨١.

(٣٧) رواه الدارمي في كتاب «النكاح» باب "٣".

(٣٨) رواه أحمد في المسند ٦/ ٢٢٦.

(٣٩) انظر تفسير ابن كثير: ٢٧٧ ج ٤. وتفسير الطبري: ١٣٧-١٣٨ ج ٢٧.

(٤٠) رواه البخاري في كتاب «النكاح» باب «١» ومسلم في كتاب «النكاح» باب «١».

(٤١) رواه البخاري في كتاب «التهجد» باب "١٨" ومسلم في كتاب «صلاة المسافرين» باب "٣١".

(٤٢) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب "٥١" .

(٤٣) انظر الإيمان والحياة: ٧٣-٨٢، وروح الدين الإسلامي: ١٥٩-١٦٥ ، والإنسان بين المادية والإسلام: ٨٤-١٣٥، والإنسان في القرآن: ٣٠-٣١ ، والإسلام ومشكلات الحضارة: ١٦٦-١٨٥ ، والشخصية الإسلامية: ٦٩-٩٨ والتفسير الإسلامي للتاريخ: ٦٠-٦٥ ، ومنهج التربية الإسلامية: ٣٨-٧٣. والإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ٩٦-٩٨ ، والخصائص العامة للإسلام للقرضاوي: ٧٥-٧٦، والإنسان في القرآن من البداية إلى النهاية: ٨٩-١٠٧ . والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان: ٧٩-٨٠، وأصول التربية الإسلامية: ٣٠-٣٢-والشخصية الإسلامية: ٦٩-٩٨ ، والحضارة الإسلامية: ١١-٤٤، والإسلام في حياة المسلم للدكتور محمد البهي: ٤٧٣-٤٧٥ ، وخصائص التصور الإسلامي: ١٣٠-١٣٨ ، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: ٣٥٣-٣٦٨.

(٤٤) انظر القاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس مادة : «عقل».

(٤٥) المفردات في غريب القرآن مادة : «عقل».

(٤٦) انظر خصائص التصور الإسلامي: ٦٣-١٧٠ ، والإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ٥٥-٧٢، والحضارة الإسلامية: ١١١-١٢٠ ، الفكر الإسلامي الحديث: ٢٥١-٢٦٠ ومنهج التربية الإسلامية: ٧٥-٧٦، والشخصية الإسلامية: ١٢٣-١٢٨-

(٤٧) رواه البخاري في كتاب الطب باب: "٥٦" ومسلم في كتاب الإيمان» باب "٤٧" .

(٤٨) رواه البخاري في كتاب الأنبياء «٥٠» ومسلم في كتاب الإيمان باب «١١».

(٤٩) رواه البخاري في كتاب الأشربة «٢» ومسلم في كتاب التفسير باب "٦" .

(٥٠) رواه الترمذي في كتاب البر باب «٦٢» وقال: حديث حسن غريب.

(٥١) رواه البخاري تعليقا في كتاب الحدود باب «٢٢» غير أن ابن حجر قد وصله. انظر الفتح: ١٢/ ١٢٠، وورواه الترمذي في كتاب الحدود باب «١» وقال: حسن غريب ، وورواه ابن ماجه في كتاب الطلاق باب «١١» والدارمي في كتاب الحدود باب «١».

(٥٢) رواه أبو داود في كتاب الوتر باب «٣٢» والنسائي في كتاب الاستعاذة باب «١٤-١٦».

(٥٣) رواه مسلم في كتاب الذكر باب «١١».

(٥٤) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب «١٤» وقال : حديث حسن .

(٥٥) رواه أبو داود في كتاب العلم باب «١» والترمذي في كتاب العلم باب «١» وقال: حديث حسن.

(٥٦) انظر لسان العرب ، والقاموس مادة : «دين».

(٥٧) انظر الدين والتدين: ٢٧-٢٩.

(٥٨) انظر الدين لمحمد عبد الله دراز: ٢٦-٢٧، والدين والتدين لمحمد حسين الذهبي: ٣٧-٤١، ٤٨-٥١، والحضارة الإسلامية للمودودي: ٩٤-١٠١. والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي: ٢٢٨-٢٤٩ . والقرآن وقضايا الإنسان لبنت الشاطئ: ٤٠١-٤١٩، والإنسان في القرآن الكريم لعبد الكريم الخطيب: ١٦٠-١٧٨، ولمحات في الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب: ٣٢١-٣٤٠.

(٥٩) رواه الترمذي في كتاب البر باب «٣٣» وقال: حديث غريب ، وأحمد ٣/ ٤١٢.

(٦٠) رواه الترمذى في كتاب البر باب «٣٣» وقال: حديث غريب .

(٦١) رواه مسلم في كتاب الإيمان.

(٦٢) رواه مالك في الموطأ باب حسن الخلق (٨) ورواه أحمد ٣٨١/٢ وقال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٨٨/٨.

(٦٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان «٢٣» ومسلم في كتاب الإيمان باب «٢٣».

(٦٤) رواه البخاري في كتاب الأدب باب «٢٧» ومسلم في كتاب البر باب «١٧».

(٦٥) رواه البخاري في كتاب المظالم باب «٣» ومسلم في كتاب البر باب «١٥».

(٦٦) انظر اللسان، والقاموس، والصحاح مادة: «سأل»

(٦٧) رواه البخاري في كتاب العتق باب «١٧» ومسلم في كتاب العمارة باب «٥».

(٦٨) انظر نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري: ١٣٢-١٤٢ والقرآن وقضايا الإنسان: ٦١-٧٧، والخصائص العامة للإسلام للقرضاوي: ٧٧-٨٢، والإسلام في حياة المسلم لمحمد البهي: ٢٨٦-٢٩٦ ولمحات في الثقافة الإسلامية: ٢٥١-٢٦٠، والإسلام ومشكلات الحضارة لسيد قطب: ٣٩-٥٦، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ١٣٩-١٤٢ ط ٢، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته: ١٤٦-١٦٠، والإنسان في القرآن: ١٥-٤٨، والإنسان في القرآن: ١٥-٤٨، والإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر: ١٦٤-١٨٠.

فهرس المصادر والمراجع:

- **الإنسان في القرآن**، عباس محمود العقاد.
- **الإنسان في الإسلام والإنسان المعاصر**، عبدالغني عبود.
- **الإنسان بين المادية والإسلام**، محمد قطب.
- **الإنسان في القرآن**، عبدالكريم الخطيب.
- **الإنسان ذلك المجهول**، الكسيس كاريل.
- **الإنسان والحضارة في العصر الصناعي**، فؤاد زكريا.
- **الإسلام ، مشكلات الحضارة**، سيد قطب.
- **الإسلام يتحدى**، وحيد الدين خان.
- **الإسلام في حياة المسلم** ، محمد البهي.
- **الإيمان والحياة**، د. يوسف القرضاوي، مكتبة الوهبة.
- **أصل الإنسان**، موريس بوكاي.
- **تفسير البحر المحيط**، أبي حيان الأندلسي ، ط/ دار الفكر.
- **التفسير الإسلامي للتاريخ**، نعمان عبدالرزاق السامرائي.
- **التفسير الكبير** -الرازي- ط/ دار الكتب العلمية.
- **التطور والثبات في حياة البشر**، محمد قطب.
- **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي.
- **جامع البيان في تفسير القرآن**، الطبري، ط/ دار الفكر.
- **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، ط/ دار الفكر.
- **الحضارة الإسلامية**، أبوالأعلى المودودي.
- **خصائص التطور الإسلامي ومقوماته**، سيد قطب.

- **الخصائص العامة للإسلام،** يوسف القرضاوي.
- **خلق الإنسان بين الطب والقرآن،** محمد علي البار.
- **دائرة معارف القرن العشرين،** محمد فريد وجدي.
- **الدين والتدين،** محمد حسين الذهبي.
- **الدين،** محمد عبدالله دراز.
- **الرسالة الحميدية،** حسين محمد الجسر، ط/ ١٣٥٢هـ.
- **روح الدين الإسلامي،** عفيف طبارة، دار العلم للملايين.
- **زاد المسير في علم التفسير،** ابن الجوزي، ط/المكتب الإسلامي.
- **سنن ابن ماجه،** ابن ماجه، ط/دار الفكر.
- **سنن أبي داوود السجستاني،** ط/ المكتبة العصرية.
- **سنن الترمذي،** محمد بن عيسى الترمذي، ط/ دار الكتب لعلمية.
- **سنن الدرامي،** ط/ دار الكتب العملية.
- **سنن النسائي،** الإمام أحمد بن علي النسائي، ط/ دار البشائر.
- **الشخصية الإسلامية،** عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ).
- **صحيح مسلم بشرح النووي،** ط/ المطبعة المصرية.
- **الصحاح في اللغة،** الجوهري.
- **عقيدة المسلم،** أبو بكر الجزائري.
- **العبادة في الإسلام،** يوسف القرضاوي.
- **العلمانية،** الدكتور سفر عبدالرحمن الحوالي.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان،**النيسابوري.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** ابن حجر العسقلاني، ط/ دار المعرفة.

- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، ط/ دار الشروق.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل،** ابن حزم، ط/ القاهرة ١٣٨٤هـ.
- **الفكر الإسلامي الحديث صلته بالاستعمار الغربي،** الدكتور محمد البهي.
- **القاموس المحيط،** الفيروز آبادي، ط/ مؤسسة الرسالة.
- **القرآن وقضايا الإنسان،** عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ).
- **لسان العرب،** ابن منظور، ط/ دار صادر.
- **لمحات في الثقافية الإسلامية**، عمر عودة الخطيب.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي،** ط/ دار الكتاب العربي.
- **المسند، الإمام أحمد بن حنبل،** ط/ المكتب الإسلامي.
- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.**
- **منهج التربية الإسلامية ،** محمد قطب.
- **المفردات في غريب القرآن،** الراغب الأصفهاني، ط/ دار المعرفة.
- **المصباح المنير،** الفيومي.
- **الموطأ**، الإمام مالك بن أنس الأصبحي.
- **مشكلة التميز العنصري،** عمر عودة الخطيب.
- **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،** لأبي الحسن الندوي.
- **معالم الثقافة الإسلامية**، عبدالكريم الخطيب، ط/ دار الفكر.
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن،** محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار الدعوة.
- **نظرات حول حقيقة الإنسان.**